الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر ــ الوادي

كليــة الآداب واللغات
قســم اللغة والأدب العربي

كسر أفق التوقّع في قصّة موسى عليه السلام من القرآن الكريم
مقاربة نقديّة في ضوء جماليّات التلقّي

مذكرة معدة ضمن متطلبات نيل شهادة المـاستر في اللّغة والأدب العربي

تخصص: نقدعربي حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:

* آمنه سعادة
* فاطمة الزهراء سعادة

إشراف الأستـــاذ الدكتور :

محمد الصديــق معوش

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
أ.د يوسف العايب	أستاذ التعليم العالي	رئيسا
أ.د محمد الصديق معوش	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا
أ.د علي دغمان	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا

السنة الدراسية : 1444-1445 هـ/ 2023 - 2024 م

بسم الله الرحمان الرحيم

﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾

[يوسف 111]

شُكرٌ وعِرفان

الحمدلله والصلاة والسلام على سيد الأنام محمد صل الله عليه وسلم صلاة وتسليم متلازمين إلى يوم الدين ،أما بعد نتقدم بجزيل الشكر الامتنان إلى من أعطى و أجزل بعطائه البروفسور :

محمد الصّديق معوش

الذي تابعنا طيلة إنجاز هذا العمل، ولم يبخل علينا وتوجيهاته القيمة والمفيدة، وإلى كل من مد لنا يد العون من قريب أو بعيد.

الطالبتان :

آمنه سعادة

فاطمة الزهراء سعادة

مـقـدمـة

عند نزول القرآن الكريم شهدت حياة المسلمين تغيّرا كبيرا مسّ جميع ميادين حياتهم فلقد قادهم باتجاه نهضة شاملة على جميع الأصعدة، فظهرت حركات علميّة عديدة اهتمت بشكل كبير بخدمة القرآن الكريم؛ من خلال إظهار إعجازه وجماليته، فتوالت الدراسات عليه وتنوعت ولعل المتفحص لهذه الدراسات التي تناولت القرآن الكريم عبر العصور، تبيّن أنّها كانت نتيجة لحاجات ذلك العصر الثقافيّة والفكريّة ...

وفي ظل ظهور نظرية غربية جديدة تسمى بنظريّة التلقي تركز على دور المتلقي في إبراز جمالية النصوص، فيتوقع ما سيأتي من الكلام ضمن أفق معين، فإذا ما أحدث المتكلم انعطافا مدروسا في كلامه، فإنّه سيكسر ذلك الأفق، ويبطئ من وتيرة جريان المعنى الأمر الذي يحفّز المتلقي لاستقبال شيء جديد منبثق من تلك الانعطافات، فيحاول اكتشاف دلالة ذلك، تاركا في نفسه الأثر الجمالي.

من هنا ارتأينا أن نقوم بدراسة تأخذ من نظريّة التلقي آليّة كسر أفق التوقع لدراسة النّص القرآني، و يتجلى ذلك في القصص، ولقد اخترنا قصّة موسى عليه السلام، وبذلك تمّ عنونة دراستنا بـ: "**كسر أفق التوقع في قصّة موسى عليه السلام من القرآن الكريم مقاربة نقدية في ضوء جماليات التلقي**"، أما عن دوافع اختيار هذا البحث فكانت الذاتية منها: النزعة الدينية فلا مانع أن يكون الإعجاب والتأثّر دافعا لاختيارنا النّص القرآني دون سواه ونحن نجد أنفسنا مشدودين إليه كلّما سمعناه أو عمدنا إليه، وهو رفيق دربنا منذ الطفولة، أمّا الدوافع الموضوعية فهو ما يتّسم به النص القرآني من أدبية عالية وجمال باهر وما يحمله من قيم ودلالات عديدة، جعلنا نتّخذ من نظريّة التّلقي آلية كسر أفق التوقع لاكتشاف هذه القيم وهذا الإبداع والجمال برؤية عصرية، ولقد اخترنا قصة موسى عليه السلام كونها من القصص الطويلة التي وردت في عديد من سور القرآن، وكذا لاحتوائها على العديد من المنعطفات السردية واللفظية.

وقد انطلقنا في هذه الدراسة من إشكالية رئيسية مفاده:

. كيف تمثّل كسر أفق التوقّع في قصة موسى عليه السلام؟ وما أبعاده الدلالية والجمالية؟

ونهدف من خلال هذه الدراسة إلى إبراز جماليات السرد القرآني وإبراز مدى احتفائه بالمتلقي، وكذا نطمح بأن نعمّق الوعي بحضور القرآن، وصلاحيته لكل عصر بمحاولة قراءته من خلال رؤية عصرية نعيشها مستندين إلى خلفية معرفية أصيلة، تتمثّل في التفسيرات.

كما ننوّه أنّ هذا الموضوع قد تمّ تناوله من قبل في مقال بعنوان: **من أساليب القرآن الكريم في كسر أفق التوقع** للباحث: **محمد سعد الخطيب**، ولقد تمّ الاستفادة من هذه الدراسة في جزئية كسر أفق التوقع على مستوى اللفظ، إلا أنّ هذه الدراسة لم تتناول الأساليب كلّها إضافة إلى أنّها لم تتناول قصة موسى عليه السلام في جميع الأساليب وكذا اهتمامها بالكسر على مستوى الألفاظ فقط، بيد أنّ كسر أفق التوقّع يمكن أَن يحدث أيضا على مستوى الأحداث وطريقة عرض القصة، وهناك أيضا كتاب: **جمالية التلقي في السرد القرآني** لمؤلفه: **يا دكار لطيف الشهرزوري** فتناول هذا المؤلف مجموعة من إجراءات نظرية التلقي التي من بينها: كسر أفق التوقّع في عديد من القصص القرآني، وقد تمّ الاستفادة منه في دراستنا في جزئية كسر أفق التوقع على مستوى المعنى، إلا أنّه اهتم بجانب الأحداث وكيفية العرض ولم يتناول الكسر على مستوى اللّفظ.

من هنا جاءت دراستنا لتكشف الأبعاد الدلالية ومكامن الإبداع والجمال في النص القرآني وإبراز دور المتلقي في ذلك، عن طريق آلية كسر أفق التوقع من جهتي اللّفظ والمعنى، والتي تعتبر من المفاهيم الإجرائية التي نادت بها نظرية التلقي تحديدا مع رائدها هانز روبرت ياوس.

ولتحقيق ذلك وضعنا خطة مكونة من: مقدمة، فصلين وخاتمة.

الفصل الأول نظري معنون بـ: **إضاءات تمهيدية حول نظرية التلقي والقصص القرآني**، والذي ينقسم بدوره إلى مبحثين الأول بعنوان: **ماهية نظرية التلقي**؛ حيث سنتطرق إلى مفهوم النظرية ونشأتها بالإضافة إلى البعد التاريخي لها انطلاقا من الإرهاصات الخمسة في تكوينها (الظاهراتية، الهرمينوطيقا، الشكلانية الروسية، مدرسة براغ البنيوية وسوسيولوجيا الأدب)، أمّا الثاني فمعنون بـ: **ماهية القصص القرآني**؛ سنتناول فيه مفهوم القصص القرآني وخصائصه وفوائده وننهي الفصل بخلاصة لأهم ما جاء فيه.

أما الفصل الثاني فهو تطبيقي وسنخصّصه لدراسة: **تمثلات كسر أفق التوقع في قصة موسى عليه السلام؛** حيث سنعتمد آلية كسر أفق التوقع التي جاء بها "ياوس" وندرس كيفية تجليها في قصة موسى عليه السلام وأبعادها الدلالية والجمالية. وننهي الفصل بخلاصة فيها أهم ماورد في الجزء التطبيقي.

وفي الأخير خاتمة لأهم النتائج المتوصّل إليها.

ولأجل تنفيذ هذه الخطة اعتمدنا على: القرآن الكريم أولا، ثمّ مجموعة من المراجع التي عالجت الموضوع من جوانب تلتقي مع ما نتوخاه في دراستنا من بينها: **كتاب نظرية التلقي لرويرت هولب،** وكتاب: **مناهج النقد الأدبي السياقية والنسقية** لصاحبه: **عبد الله خضر حمد،** وذلك كون الدراسة تحتاج لفرش نظري تأسيسي وكتاب: **جمالية التلقي في السرد القرآني** لمؤلفه: **يادكار الشهرزوري؛** كونه تناول في أحد فصوله ما نحتاجه بخصوص كسر أفق التوقع في قصة موسى عليه السلام، وكذا **تفسير الكشاف للزمخشري** و**تفسير القرآن العظيم لابن كثير** و**في ظلال القرآن لسيد قطب** و**التحرير والتنوير لابن عاشور** لكون الدراسة تبحث كيفية تلقي النص القرآني على مر العصور. وكل هذه المراجع تساعد في نمو البحث واكتماله وإخراجه في الصورة المطلوبة.

والمقاربة النقدية عادة تقتضي الإفادة من عدة إجراءات منهجية وآليات كالوصف والتحليل التي رافقتنا طيلة البحث بشقيه النظري في طرح ماهية النظرية ومفاهيمها الإجرائية، وكذا التطبيقي في توضيح بعض المفاهيم، واستعنا أيضا بالمنهج التاريخي في تقصي الأسس الفلسفية لنظرية التلقي ونشأتها وتطورها، وذلك في الفصل النظري، وكذا القراءة والتأويل في الجانب التطبيقي بما فيه من تفاسير وكذا تأويل الكسر الموجود في المشاهد.

ولقد واجهتنا بعض الصعوبات منها: ما يحمله النّص القرآني من خصوصية وإعجاز، لذا اعتمدنا على بعض المراجع لإدراكه وفهمه ومن الصعوبات أيضا هو قيام الدراسة على حقلين نقديين الأول السرد والثاني التلقي إذ لكل منهما خصوصيته مما حتّم علينا الإحاطة بهما، والعمل في ضوئهما معا وكذا وفرة ما كتب عن النّص القرآني منذ عصر التدوين شكلت تحديا أكبر فكان لزاما علينا اختيار المناسب منها لطبيعة الدراسة، وكون قصة موسى عليه السلام تعتبر من القصص الطويلة والتي لا يسعفنا البحث لتناول كل الأحداث فيها فقد ركّزنا على بعض المشاهد دون سواها .

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان للأستاذ المشرف "**محمد الصديق معوش**" الذي كان لنا نعم العون والسند خلال بحثنا هذا دون أن ننسى كل الأسرة الجامعية من أعلى هرمها إلى أدناه، كما نشكر لجنة المناقشة على ما ستقدّمه لنا من توجيهات وملاحظات ثمينة، فإن أخطأنا فمن أنفسنا وإن أصبنا فمن الله.

والله ولي التوفيق

.2024/05/12

الفصل الأول:

إضاءات تمهيدية حول نظرية التلقي والقصص القرآني

المبحث الأول: ماهية نظرية التلقي

المبحث الثاني: ماهية القصص القرآني

إنّ هذه الدراسة كونها تتخذ من بعض مفاهيم نظرية التلقي أدوات لمقاربة النص القصصي القرآني مقاربة جمالية تلزم مهادا نظريا يؤطر مجريات البحث، وذلك بالوقوف عند ماهية نظرية التلقي من جهة، وعند حقيقة وماهية القصص القرآني من جهة أخرى، من خلال المبحثين الآتيين:

المبحث الأول: ماهية نظرية التلقي:

تعدّ نظرية التلقي في النقد الأدبي من النظريات التي تجاوزت الحداثة الممثلة في البنيوية وبناتها حيث حولت مركز الاهتمام من النص إلى المتلقي/ القارئ، وقد ظهرت في ألمانيا في أواسط الستينات 1966م نتيجة لتطورات فكرية وأدبيّة واجتماعيّة، في إطار جامعة كونستانس Université de constance على يدي كل من ولف غانغ ابزر Wolf gang Izer، وهانس روبرت ياوس Hans Robert Jauss.

ثارت هذه النظريّة على المناهج التي تركّز على المرجعيّة الواقعيّة كالنظريّة الماركسيّة أو الواقعيّة الجدليّة التي اهتمت كثيرا بالمبدع وحياته وظروفه التاريخيّة، وانتقدت أيضا المناهج النصيّة كالبنيويّة التي اهتمت بالنص المغلق، لأنّ تلك المناهج أهملت عنصرا أساسا في عملية التواصل مع النّص، وهو القارئ الذي ستهتم به نظرية التلقي وتعطيه مكانة رفيعة وتجعله محور نشاطها، وتركّز تركيزا كلّيا على كل ما يثيره والدور الذي يؤديه في إتمام النّص.

فما حقيقة هذه النظرية؟ وكيف نشأت؟ وما المرتكزات الفكرية والفلسفية التي تستند إليها؟ وفيم تتمثل أدواتها الإجرائية؟

1- مفهوم نظرية التلقي:

1-1 التلقي في المعاجم العربيّة:

جاء في مقاييس اللغة: " لقى: اللام والقاف والحرف المعتل أصول ثلاثة: أحدهما يدل على عوج، والآخر على توافي شيئين، والآخر على طرح شيء. الملاقاة وتوافى الاثنين متقابلين، ولقيته لقوة، أي مرة واحدة ولقاءة، ولقيته لقيا وفعلة من اللقاء، والجمع لقى"[1]. وجاء

[1] ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ج5، ص 260-261.

في لسان العرب " وتلقاه أي استقبله وفلان يتلقى فلان أي يستقبله"[1]. معنى التلقي هو الاستقبال.

وقد ذكر في معجم تاج العروس: في لفظة "لقى: (لقاه الشيء) تلقيه: (ألقاه إليه)، وبه فسر الزّجّاج قوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾، أي: (يلقى إليك) القرآن وحيا من عند الله تعالى، وفي التهذيب، الرجل يلقي الكلام، أي: يلقنه"[2].

وبنظرنا إلى المعاجم العربية قديمها وحديثها فإننا نجد أَنّ لفظ (التلقي) يفيد: الاستقبال أو الأخذ أو التعلم أو التلقين.

1-2 في القرآن الكريم:

" ورد لفظ التلقّي في القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى:﴿**وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عليم**﴾ (النمل: الآية: 6) وكذلك قوله تعالى: ﴿**فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾ (البقرة: الآية: 37)

فدلالة الاستعمال القرآني لمادة التلقي مع النص تنبه إلى ما قد يكون من إيحاءات وإشارات إلى عملية التفاعل النفسي والذهني مع النّص فهي ترتبط دائما بالفطنة والفهم.. وفي الحديث:(إنّ الرّجل ليتكلم بالكلمة ما يلقى لها بالا يهوى بها في النّار) فكمستقبل مرتبط بإحضار القلب لما تقول ومن باب أولى يكون التلقّي"[3].ومنه نستنتج أن التناول القرآني للفظة التلقي يوحي صراحة بمعنى الاستقبال ومن ثم التواصل ذهنيا ونفسيا.

1-3 في المعاجم الغربيّة:

يقال في الإنجليزية:"reception" أي تلقي واستقبال، ويقال "receptive أي متلق أو مستقبل"[4].

نلاحظ أنّ المعاجم الغربية كلها تصب في دلالة الاستقبال.

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله على الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، ط1، ج 46، ص4066.

[2] الزبيدي، تاج العروس، تح: عبد المجيد قطامش، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ط1 ،2001، ج 39، ص 475.

[3] عبد الواحد محمود عباس، قراءة النص وجمالات التلقي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1 ،1996، ص 13-14.

[4] منير البعلبكي،المورد، قاموس عربي انجليزي، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1970، ص764.

1-4 اصطلاحا:

يدخل هذا المصطلح تحت صفة النظرية؛ أي نظرية التلقي هي: "مجموعة من المبادئ والأسس النظرية والأمبريقية شاعت في ألمانيا للقارئ". في السبعينيات على يد مدرسة "كونستانس، تهدف إلى الثورة ضد البنيوية والوصفية، وإعطاء الدور الجوهري في العملية النقدية للقارئ أو المتلقي. باعتبار أنّ العمل الأدبي منشأ حوار مع القارئ بصورة جدلية تجعله يقف على المعنى الذي يختلف باختلاف المراحل التاريخية للقارئ"[1].

عرّفها عبد الواحد عباس بأنها: "عملية التفاعل النفسي والذهني مع النّص القرآني"[2].

والملاحظ بين التعريف اللغوي عربيا وغربيا والتعريف الاصطلاحي وجود نقاط التقاء حيث تخدم كل نقطة الأخرى.

2- نشأة نظرية التلقي:

لم يظهر الاهتمام بالقارئ أو المتلقي إلا بعد مرحلة البنيوية والسيميائية، التي ركزت على النص، بشكل من الأشكال، وأقصت بشكل كلي مفهوم المؤلف، والمرجع والسياق والإحالة، وكان التركيز على النّص باعتباره مجموعة من البنيات الداخلية المغلقة، بيد أنّ النّص من منظور السيميائيات أخذ حيزا كبيرا من الاهتمام على حساب القارئ، الذي اهتم به رولان بارت، وتودوروف، وأمبرتو ايكو. ومن ثم فقد جاءت نظريات القراءة في مرحلة ما بعد الحداثة (1960-1980) لتعيد الاعتبار للمتلقي وبذلك فلم يبرز دور القارئ إلا مع نظريات ما بعد الحداثة، وتطور النظريات الحديثة كالتأويلية والفينومينولوجيا والتداوليات والنقد الثقافي، والنقد النسوي، والتاريخية الجديدة والتفكيكية "[3].وتلتقي هذه الأخيرة " في بعض أهدافها مع أسس نظريات الاستقبال أو التلقي ،وبخاصة في مجال تحرير عملية القراءة "[4]، ولعل ما يزيد من صعوبة تحديد هذه المدرسة هو إفادة ممارسي هذا النوع من النشاط النقدي من الأطروحات الحديثة سواء اللغوية منها أو النفسية أو الحفرية أو البنيوية أو التقويض أو

---

[1] سمير سعيد حجازي، قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، دار الآفاق العربية، مدينة نصر، ط1 ،2001 ص 145.

[2] عبد الواحد عباس، قراءة النص وجماليات التلقي، ص14.

[3] ينظر:عبد الله خضر حمد، مناهج النقد الأدبي السياقية و النسقية ، دار القلم، بيروت لبنان، ص382.

[4] المرجع نفسه ،ص359.

مكتشفات النقد النسائي، ولما لم يكن لهم مدرسة توحد غايتهم أو تحدد منهجيتهم، فإنّ كلَّ من اهتم بالقارئ أو القراءة هو منتسب وإن لم ينتسب إلى هذا التوجه سواء كان هو رولان بارت أو كان هارولد بلوم ... "[1].

ومن خلال ما سبق نخلص إلى أنّ المناهج النقديّة قد مرت بثلاث مراحل كبرى، مرحلة المؤلف المتمثلة في المناهج السياقية (التاريخي، النفسي، الاجتماعي)، والتي منحت للمؤلف السلطة في فهم النّص، ثم مرحلة النص التي جسدتها المناهج النسقية من خلال إقصاء المؤلف ونقل السلطة إلى النص باعتباره نسقا مغلفا مكتفيا بذاته، وأخيرا مرحلة القارئ أو المتلقي التي مثلتها نظرية القراءة وجماليات التلقي،فمنحت السلطة للقارئ باعتباره مؤولَ النص، وهكذا انتقلت سلطة الأدب من المبدع والنص إلى القارئ بعد الإعلان عن موت المؤلف والتخلص من أسطورة الكاتب والنص.

ظهرت نظرية القراءة منذ الستينات 1967 في ألمانيا الغربية، وتنسب إلى جامعة كونستانس Université de constance، ومن أشهر ممثليها هانس روبرت ياوس Hans Robert Jauss، وولف غانغ آيزر Wolf gang Izer ، وإنّ أهم ما يمكن أن يميز المدرسة الألمانية هو وجود اتجاهين كبيرين متبايين هما:

أ. اتجاه جماعة برلين: إذ قامت على مهاد نظري فلسفي يستمد تراثه من النظرية الماركسية معتقدة أنّ التواصل الفني يقوم على أربعة عناصر هي: المؤلف والنص والمتلقي والمجتمع ولذلك فقد أخذت هذه الجماعة عيوبا عديدة على جماليات التلقي التي دعت لها مدرسة كونستانس، ولعل أهمّها هي الطريقة التي تفصل فيها العلاقة الجدلية القائمة بين الإنتاج والاستهلاك، حيث سيؤدي الفصل بين الإنتاج والاستهلاك إلى فقدان كل قيمة.

ب – جماعة كونستانس: الذي يعود لها الفضل في وضع الأسس لما يعرف (بجماليات التلقي)، التي أعطت للمتلقي قيمته، وجعلته عنصرا تقوم عليه النظرية، وجعلته قطبا فاعلا في العملية الإبداعية ذاتها[2]. ولقد تأثر العرب بهذه النظرية، وظهرت العديد من الدراسات في النقد العربي الحديث منها على سبيل المثال لا الحصر: دراسة التلقي والتأويل

[1] المرجع السابق، ص383.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص384.

مقاربة نسقية لمحمد مفتاح، ودراسة نظرية الاستقبال(مقدمة نقدية) لروبرت هولب، ترجمة عز الدين اسماعيل ...وفلسفة القراءة واشكالية المعنى لحبيب مونسي[1].

3- الخلفيات الفلسفية والفكرية لنظرية القراءة والتلقي:

لم تأت نظرية التلقي من العدم، بل قامت كغيرها من النّظريات النّقدية على جملة من الأسس والمرجعيات الفكرية والفلسفية التي كانت بمثابة المناخ الفكري، والأرضيّة النقديّة التي أرست دعائمها، فقد حصر روبرت هولب Holub مرجعيات نظرية التلقي في خمس مؤثرات يقول "وعلى هذا الأساس أفردت في باب الإرهاص خمس مؤثرات، وهي: الشكلانية الروسية وبنيوية براغ وظواهرية انغاردن، وهرمونيطيقا هانز جورج غادامير وسوسيولوجيا الأدب "[2].وعلل المرجعيات بقوله: "وقد تم اختيارها لأنّها أضافت ما يساعد على تقديم حلول لأزمة البحث الأدبي التي ناقشناها بعودتنا إلى تركيز الانتباه على العلاقة بين القارئ والنص"[3].

فهو يرى أنّ هذه المرجعيات والروافد كان لها الأثر في تطوير عدة للنظرية، حيث أنها استقت أغلب مفاهيمها منها ولعلّ أبرز تجلياتها التركيز على علاقة القارئ بالنص.

3-1 المدرسة الشكلانية:

لقد أسهم الشكلانيون الروس بتوسيعهم مفهوم الشكل بحيث يندرج فيه الإدراك الجمالي وبتعريفهم للعمل الفني بأنّه مجموع عناصره، وبلفتهم النظر إلى عملية التفسير ذاتها أسهموا في خلق طريقة جديدة للتفسير، ترتبط ارتباطا وثيقا بنظرية التلقي، وفيما يتصل بتاريخ الأدب كان لتسليم الشكلانيين الروس بالتطور الأدبي متضمنا الصراع بين المدارس المختلفة من أجل السيادة، كان له كذلك أصداء قوية في النّظرية الألمانية الجديدة، ولابد إذن استخلاص أنّه إلى جوار البنيوية التي امتدت من موسكو إلى باريس؛ كان هناك تتابع مواز في تاريخ الأفكار، ينساب من لدن الشكلانيين إلى أصحاب نظرية التلقي الالمان المحدثين.

- **الإدراك والأداة:** وظيفة الفن هو أن يجرد إدراكنا من عاديته، وأن يعيد الشيء إلى الحياة مرة أخرى. ومن هنا يصبح دور المتلقي بالغ الأهمية، وبمعنى ما يكون

---

[1] ينظر: رحمة حسنة محمد، أثر نظرية التلقي النقد العربي الحديث، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة واسط، العراق، مج2، ع41،2021، ص151.

[2] روبرت هولب، نظرية التلقي مقدمة نقدية، تر: عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ط1، 2000، ص48.

[3] المرجع نفسه، ص نفسها.

الشخص المدرك هو من يقرر الخاصية الفنية للعمل، فمن الممكن أن يكون الشيء قد أبدع نثريا وتم إدراكه شعريا.

- **التغريب:** يشير إلى خاصية بين القارئ والنّص تنزع الشيء من حقله الإدراكي العادي، وهو بهذا المعنى يعد العنصر التأسيسي في الفن أجمع، وقد تم تحديد وظيفتين للتغريب الأولى تلقي هذه الأدوات الضوء على الأعراف اللغوية والاجتماعية، والثانية هي أنّ الأداة تعين على لفت النظر إلى الشكل نفسه؛ فهي ترغم القارئ، بمعنى ما على تجاهل التصنيفات الاجتماعية من خلال توجيه انتباهه إلى عملية التغريب بوصفها عنصرا من عناصر الفن ومع ذلك فإنّ الأهم من منظور نظرية التلقي هو أن شكلوفسكى هنا يقوم بصياغة مكون أولي من مكونات عملية القراءة. إنّ التغريب وإن قصد به المؤلف إلى أهداف عملية أو إدراكية يظل عملية تنشئ علاقة بين القارئ والنص.
- **التطور الأدبي:** يتم عن طريق إحلال عناصر جديدة مقابل عناصر وتقنيات قديمة، فهذا التغير سيضفي ببساطة ملامح جديدة في العمل، وقد كان لهذه الأفكار استخدامات عند كلّ من ياوس في فكرته أفق التوقعات وابزر في فكرته الفجوات[1].

3-2 ظواهرية رومان انجاردن R. Ingarden

نجد انغاردن جعل من المتلقي ركنا أساسيا في إدراك العمل الأدبي، "ثانيهما حديثه عن الأهداف التي يتضمنها العمل الأدبي، وهو لا يعني أهدافا اجتماعية أو مذهبية أو غيرها مما قد تفرضه واعية النص، بل يعني أن النتاج الأدبي ينطوي بالضرورة على فراغات وهذه الفراغات تمثل في جوهر النص بقع إبهام أو أماكن غموض، وتلك التي يستشعرها القارئ في تعامله مع النص، فتصبح بالنسبة له أهدافا يجب استكمالها لملء فراغات الغموض، وهذا المسلك يعد في تقديره أهم عمل يمكن أن يقوم به القارئ في علاقته بالنص"[2].

ومن هنا تكون العلاقة بين نظرية التلقي وبين انجردن حيث أنّ كلاهما يؤكد على وجود فراغات في النص ويجب ملؤها عن طريق القارئ بالاعتماد على الخيال.

3-3 مدرسة براغ البنيوية:

[1] ينظر: المرجع السابق، ص 49-59.

[2] عبد الواحد عباس، قراءة النص وجماليات التلقي، ص38.

تعتبر هذه المدرسة أَنّ الفنَّ" نظام دلالي أو علامة مركبة أو حقيقة عالمية تربط الفنان أو المبدع بالمتلقي، وأزاحت النظريات التي تتعامل مع الفن بوصفه انعكاسا للواقع أو انعكاسا لحالة نفسية، وهو بذلك وضع الفن في سياق ملائم لفحص الاستجابة الجمالية، وهذا الاحتفاء بالجمالي نجده عند آيزر الذي يرى أنّ العمل الأدبي له بعدان بعد فني ويتمثل في النّص وبعد جمالي الذي ينتج عند القارئ، ويقسّم موكاروفسكي العمل الفني بما هو بنية مستقلة إلى ثلاث عناصر: العمل بما هو شيء أو منتج مصنوع، والرمز الحسي الذي يتعلق في مصطلح سوسير بالدال، وموضوع جمالي مستقر في الوعي الاجتماعي، فهو يرى أنّه لابد من النظر للعمل الفني باعتباره رسالة، إضافة إلى كونه موضوعا جماليا موجها إلى متلق ويقول أيضا أنّ المتلقي رجل كان أم امرأة هو نتاج علاقات اجتماعية، وعليه فقط ربط العمل الفني بالنّسق التاريخي"[1]. ومنه يعتبر موكاروفسكي حامل لواء استمرارية المنهج الشكلي خصوصا في شقه المحيل على القارئ ودوره في مقاربة النص.

3-4 هورمنيوطيقا هانز جورج جادامير: Hans. Georg Ga damier

أسهم جادامير في توجيه إستراتيجية القراءة؛ من خلال وضعه لمجموعة من الأدوات الإجرائية في دراسة النصوص الأدبية، حيث ركز على دور الذات المتلقية في إنتاج المعنى والتي تعطي للنص بعدا تأويليا من خلال عملية الفهم: "فهي امتزاج الأفق الخاص بالفرد المتلقي بالأفق التاريخي المستقبل لنص أدبي ما على سبيل المثال فكرة أدبية خادعة فليس هناك خط فاصل بين الأفق الماضي والأفق الحاضر، يقول جادامير عندما نضع وعينا التاريخي نفسه خلال الآفاق التاريخية، فإن هذا لا يستطيع العبور إلى عوالم غريبة لا يرتبط على أي نحو بعالمنا وكنها مجتمعة تكون الأفق الواحد الكبير الذي يتحرك من داخله، والذي يعانق فيما وراء الحاضر الأعماق التاريخية لوعينا الذاتي، إنّه أفق واحد في الحقيقة ذلك الذي يعانق كل شيء احتواه الوعي التاريخي"[2]. فهو يربط الفهم بالتاريخ من خلال حوارية الماضي والحاضر. ويضيف قائلا :"أنّ تداخل الأفق يحدث في الواقع ولكنه يعني أنّه عندما يطرح الأفق التاريخي فإنّه ينحى في الوقت نفسه على نحو يكاد يكون جدليا بحيث يبدو أنّ الفهم هو وعي تاريخي قد أصبح واعيا بنفسه "[3].إنّ النص ينطلق من آفاق سابقة ليصهرها

[1] روبرت هولب، نظرية التلقي، تر: عز الدين إسماعيل، ص 81-85.

[2] صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، ط1 ،2001، ص150.

[3] المرجع نفسه، ص نفسها.

بأفاق الحاضر، ليتم إعادة بناء المعنى ويعد أفق الانتظار أحد مرجعيات ياوس التي استقاها من جادامير حيث يرى أنّ العمل الأدبي هو الانتظار نفسه لأنّ القراءة تحمل توقعات كثيرة، ومتباينة ترجع في أصلها إلى اختلاف أفق القارئ وأفق النص، ذلك العمل أنّ العمل يكسر أفق انتظار الماضي والإبقاء عليه في وعينا الحاضر.

3-5 سوسيولوجيا الأدب:

يدنو المنهج السوسيولوجي في النقد من نظرية التلقي من حيث الاهتمام بالمتلقي وثقافته وتأهبه لمواجهة النص الأدبي، وتركيزه على الطبقة الاجتماعية التي ينتسب إليها فهو يرى أنّ الأدب رسالة اجتماعية ترمي إلى تحليل المجتمع، وهذا المجتمع هو الذي يقدّم للقارئ أدوات القراءة الصحيحة لأنّه المعني بالرسالة، وفي الوقت ذاته يفتح له فضاءات التأويل، إذن فإنّ تأثير النقد السوسيولوجي في نظرية القراءة والتلقي يبدأ من الاهتمام بغاية الأدب، وهي إعطاء رسالة اجتماعية ويمتد لوصف المتلقي، والكيفية التي سيواجه فيها الأدب المجتمع في الوقت ذاته.

إنّ التلقّي في مدرسة سوسيولوجيا الأدب: هو عملية فهم وتحليل وتكيف وتغيير بين القارئ والمجتمع من خلال وسيط الأدب الذي يعمل على كشف حقيقة ذلك المجتمع مستندا إلى مرجعيات مشتركة مع القارئ الذي يسعى إلى الوصول إلى ذلك التوازن النفسي والاجتماعي مستعينا بتلك القراءة[1].

4- المفاهيم الإجرائية لدى رواد النظرية:

4-1 المفاهيم الإجرائية التي جاء بها روبرت ياوس:

4-1-1 تاريخ الأدب:

لقد شهدت فترة الستينات إهمالا شديدا لطبيعة الأدب التاريخية حيث شاعت اتجاهات البنيوية والألسنية، التي كانت تركز على الجانب الوصفي مهملة تماما الجانب التاريخي، وقد رأى ياوس في هذا إهمالا للأفكار القديمة الخاصة بعلم تاريخ الأدب؛ حيث صرّح في محاضرة ألقيت في جامعة كونستانس حول التاريخ الأدبي أنّه لابد من المحافظة على نوع

[1] ينظر: مراد حسن فطوم، التلقي في النقد العربي في القرن الرابع الهجري، منشورات الهيئة العامة السورية، دمشق، 2013، ص29-31.

من الصلة الحيوية بين نتاج الماضي واهتمامات الحاضر، فحاول ياوس من خلال مشروعه النقدي أن يخلّص النقد الأدبي مما وصل إليه من انسداد مع الاتجاهين: الاتجاه التاريخي والاتجاه الجمالي الشكلاني، حيث يقترح نموذجا بديلا للتاريخ الأدبي مستفيدا من كليهما في الدعوة إلى التوحيد بين تاريخ النص وجماليته [1]،" لذا فإنّ مهمة التاريخ الأدبي الجديد تكمن في الدمج الناجح للماركسية بالشكلانية ويمكن إنجاز ذلك بإرضاء المتطلبات الماركسية المتعلقة بالتوسط التاريخي تاركين للشكلانية عالم الإدراك الجمالي"[2].

وقد اقترح دراسة العمل الأدبي عبر تاريخ التلقي لأنّ الخلاصة التاريخية للعمل الفني حسبه لا يمكن أن تفكر بتفحص المنتوج أو وصفه ببساطة، بل يجب معاملة الأدب كإجراءات جدلية للإنتاج والاستقبال.

4-1-2 مفهوم أفق الانتظار: Horizon d" attente

يرى "ياوس أنّ هذا المفهوم الذي جعله منطلقا أساسيا في مفاهيمه؛ أنّه الفضاء الذي تتم من خلاله عملية بناء المعنى، ورسم الخطوات المركزية للتحليل، ودور القارئ في إنتاج المعنى عن طريق التأويل الأدبي الذي هو محور اللذة لديه، "هو مجموعة التوقعات الأدبية والثقافية التي يتسلح بها القارئ عن وعي أو غير وعي في تناوله للنص وقراءته"[3].

وبذلك فالقارئ عند دخوله إلى عالم النص يكون محملا بآفاق سابقة ناتجة عن خلفيات اجتماعية، ثقافية، فكرية...، هذه الخلفيات تشكلت من اطلاعه على أعمال أدبية مشابهة غير أنّه يصطدم بآفاق يحملها النّص الذي يتشكل من اللغة وإيحائها وتراكيبها، هذا الاصطدام قد ينتج عنه توافق بين أفق القارئ وأفق النّص، وقد لا يحدث هذا التوافق مما يولد خيبة عند القارئ تؤدي إلى الانحراف عن التقاليد المتعارف عليها ما يعرف **بكسر أفق التوقع** وخلق أفق جديد.

ويشير ياوس في أثناء مناقشته هذا المصطلح أفق التوقع إلى ثلاث محاور أساسية على النحو التالي:

---

[1] ينظر: روبرت سي هول، نظرية الاستقبال، تر: رعد عبد الجليل جواد، دار الحوار للنشر والتوزيع اللاذقية سوريا، ط1، 1992، ص71-75

[2] المرجع نفسه، ص75.

[3] عبد الله خضر حمد، مناهج النقد الأدبي السياقية و النسقية، ص387.

- ✓ المعرفة القبلية التي يكتسبها القارئ عن الجنس الأدبي الذي ينتمي إليه العمل الأدبي الذي سيقرأه.
- ✓ شكل الأعمال السابقة وموضوعاتها التي يفترض معرفتها في الأثر الجديد.
- ✓ التعارض بين اللغة الشعرية واللغة العملية أي التعارض بين العالم الخيالي والواقع اليومي[1].

وخلاصة القول أنّ ياوس ركز في تحليل التجربة الأدبية على معرفة القارئ الواسعة بالآليات والقيم الفنية والأدبية التي تصنع في إطار الجنس الأدبي، وفي حيز المعرفة الناتجة عن وضعية الكتابة الأدبية بشقيها الداخلي والخارجي، مما يميز بين أساليب الكتابة وتقنياتها وهذا يعي بالتباين الكامن بين العوامل الخالية التي تتجلى في معاني اللغة الشعرية والصور الواقعية التي تنقلها اللغة اليومية.

4-1-3 المسافة الجمالية: Distance Esthétique

أضاف ياوس إلى فكرة الأفق فكرة أخرى مكملة لها وهي المسافة الجمالية، "هي الفرق بين كتابة المؤلف وأفق توقع القارئ، بمعنى أنّها المسافة الفاصلة بين التوقع الموجود لدى القارئ والعمل الجديد"[2]. ويمكن الحصول عليها من استقراء ردود أفعال القراء على الأثر أي من الأحكام النقدية التي يطلقونها عليه، والآثار الأدبية الجيدة هي تلك تمني انتظار الجمهور بالخيبة، إذ الآثار الأخرى التي ترضي آفاق انتظارها وتلبي رغبات قرائها المعاصرين هي أثار عادية جدًا لأنها نماذج تعود عليها القراء.

وعلى هذا يمكن تمييز ثلاث أفعال لدى القارئ:

1. الاستجابة: ويترتب عليها المتوقع. ارتياح لأنّ العمل الأدبي يستجيب لأفق توقع القارئ وينسجم مع معاييره الجمالية.
2. التغييب: ويترتب عنه الاصطدام لأنّ العمل الأدبي قد خيب أفق توقع القارئ فيخرج من المألوف إلى الجديد.

[1] المرجع السابق، ص389.

[2] المرجع نفسه، ص404.

3. التغيير: أي تغيير الأفق المتوقع[1].

وعليه يمكن القول في التغييب أنّه كلما كان الكسر واضحا وقويا كلما اتسعت فجوة المسافة الجمالية، وكان هذا العمل مميز وكان القارئ مهتم أكثر، وانجذب بقوة نحو هذا العمل الجديد، وحاول بكل ما لديه من خبرات أن يضع أفقا جديدا وهكذا دواليك.

نوع الاستجابة	المسافة الجمالية	القيمة الجمالية
توافق أفق الانتظار	ضيقة	عمل رديء بسيط
تخيب أفق الانتظار	واسعة	عمل فني أدبي

4-2 فرضيات "فولفغانغ آيزر":

هو أحد أقطاب جامعة "كونستانس والرائد الثاني لنظرية التلقي، ينطق "آيزر" في تأسيس افتراضاته مرجعيات فلسفية ومعرفية متنوعة وجهها صوب الهدف الذي انطلق منه "ياوس". وكان مسار "آيزر" هو البحث في حقيقة العلاقة بين النص والمتلقي وكيف يكون للنص معنى بالنسبة للمتلقي.

4-2-1 التفاعل بين النص والقارئ:

يعالج آيزر ضمن هذا المفهوم قضية المعنى التي تتأتى من العمل الأدبي، فهو يرى أنّ المعنى لا ينتج إلا من خلال عملية تفاعل تحدث بين النص والقارئ، فبناء أي نص أدبي يتضمن مجموعة فجوات وفراغات يقوم القارئ بسدها وهذه الفراغات تثير عملية التخيل التي يقوم بها القارئ، بناء على شروط يضعها النص، وأنّ هذه الفراغات تترك الربط بين أبعاد، مما يجعل عملية القراءة فعلا النص مفتوحا وبهذا تحث القارئ على تنسيق الأبعاد والنماذج، وعليه فالمعنى ينتج من خلال التفاعل بين النص والقارئ فهو تركيب والتحام بين

[1] المرجع السابق، ص نفسها.

اثنين [1]. بمعنى أنّ التفاعل بينهما هو ما يحقق وجود النص، فانفراد كل من النص والقارئ لا يضفي على النص أي معنى، لذلك لا بد من التحامهما حتى لا يتجمد النص بعزل القارئ، هذا الأخير الذي يعمل على إحياء المعنى بفعل القراءة، فأي وصف للتفاعل بين النص والمتلقي يجسد في الآن ذاته بنية التأثيرات (النص) وبنية التجارب (القارئ).

وبهذا يمكننا القول أنّه لا يمكننا الحصول على المعنى النهائي للنص، لأنّه يحوي العديد من الفجوات على القارئ ملؤها عن طريق التفاعل بين بني النص وبنى الإدراك، وقد حدد دور المتلقي في عملية ملأ الفجوات عن طريق القيام بالعديد من الإجراءات منها التفاعل بين بنية النص وبنية الفهم عند القارئ، كما طالب "آيزر" بفهم القراءة على أنّها فعل تحاور وجدل بين النص وتلقيه، أو بين النص وبين عملية التلقي التي يحركها فتحركه.

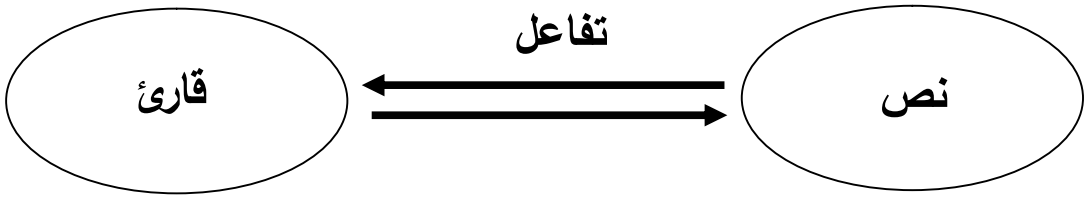

4-2-2 القارئ الضمني Lecteur Implicite:

القارئ الضمني هو مجموع القراءات الممكنة للنص والتي لم تتحقق في الواقع[2].

ولقد عدّ آيزر المتلقي عنصرا بالغ الأهمية، باعتباره طرفا ملازما للنص يتبادل معه علاقة التأثير والتأثر عن طريق ذلك الأثر الذي يتركه العمل الأدبي في المتلقي.

وهنا تكمن الوظيفة الحيوية للقارئ الضمني، من خلال تجسيده للاستعدادات السابقة الخاصة بالعمل الأدبي لكي يمارس تأثيره، وراح آيزر يصنف القراء حسب ما قدمه باحثون آخرون إلى:

- القارئ النموذجي: Larchilecteur عند ريفاتير والمقصود به مجموعة قراء يملكون قدرات مختلفة ويعملون جميعًا على تلمس الدرجة العليا من فك النص باعتباره مظهرًا أسلوبيا (البنيوية الشعرية).

[1] المرجع السابق، ص392.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص406

- القارئ الخبير: Le lecture inform عند فيش (fich) وهو الذي ينبغي أن:

1. يتكلم بطلاقة اللغة التي كتب بها النص
2. يمتلك معرفة دلالية كمستمع. تمكّنه من الفهم.
3. يمتلك قدرة أدبية.

وقد اعتمد (فيش) في تطوير مفهوم القارئ الخبير على النحو التوليدي.

- القارئ المقصود: Le lecture vis عند وولف Wolff وهو الفكرة كما تشكلت في ذهن الكاتب وهذه الصورة يمكن أن تأخذ عدة أبعاد في النص (سوسيولوجيا الأدب).

ويطرح آيزر مختلف هذه النماذج ليخلص إلى ضرورة تجاوز الأسلوبية البنيوية والنحو التوليدي وسوسيولوجيا الأدب إلى القارئ نفسه.

ثم يميّز آيزر بين نوعين من القراء:

1. القارئ المعاصر :Le lecteurContemporaine يقوم بعملية القراءة ويباشر ويحققها.
2. القارئ المثالي Le lecteurIdal متلق نموذجي متخيل [1].

4-2-3 الاستراتيجية: Stratégie

يحاول آيزر أن ينظم نوعا من الاستراتيجية وظيفتها القيام بالعملية التواصلية بين عناصر السجل، وتقييم العلاقة بين السياق والمتلقي، لأنّها عبارة عن عدد من الإجراءات تمثل مجموع القواعد التي يجب أن توافق النص مع القارئ بنجاح،" الاستراتيجية عند آيزر عبارة عن عدد من الإجراءات المقبولة تمثل مجموعة القواعد التي يجب أن توافق المرسل والمرسل إليه كي يتم ذلك التواصل بنجاح"[2]. وبذلك فالنّص يتيح مجموعة من الاستراتيجيات ليستطيع القارئ من خلالها أن يفهمه، تكون مسؤولة عن كيفية ترتيب عناصر السجل وعلى إثرها البناء الشكلي للنص، غير أنّه لا يمكن النظر إليها على أنّها نظام تام ونهائي، لأنّ هذا فيه إقصاء لدور القارئ.

4-2-4 السجل النصي: Le répertoire de texte

[1] ينظر: المرجع السابق، ص407.

[2] عبد الناصر حسن محمد، نظرية التوصيل وقراءة النص الأدبي، المكتب المصري، مصر، ط1 ،1999، ص137.

يستند أي نص في بناء هيكله على مرجعية ثقافية يتزود بها، فهو لا يبني هويته من العدم، وهو ما يطلق عليه آيزر السجل النصي: "مجموع الاتفاقات لقيام وضعية ما"[1] أي أنّ النّص في لحظة قراءته ولكي يتحقق المعنى يتطلب إحالات ضرورية لحصول ذلك التحقق وتكون إحالات إلى كل ما هو سابق على النص كالنصوص الأخرى، وكل ما أخرج عنه كأوضاع، وقيم أعراف اجتماعية، وأعراف اجتماعية وثقافية. فالنّص يستند إلى مجموعة من المعايير الخارجة عنه مختارة من السياقات التاريخية، والاجتماعية والثقافية والأدبية وبذلك فالسجل هو الذي يسمح للقارئ أن يقول ما لم يقله المبدع في نصه، ويمكّنه من رؤية ما لم يكن يراه، وعليه فالنص لحظة قراءته يتطلب سجلا نصيا تتم من خلاله عملية التفاعل بينه وبين القارئ، وبذلك يتم إنتاج المعنى من خلال تفعيل البنيات النصية الممنوحة والإستراتيجيات التي توجه القارئ.

[1] عبد العزيز طليمات، الوقع الجمالي آليات الوقع عند فولفغانغ آيزر، مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية، ع6 ،1992، ص58.

المبحث الثاني: ماهية القصص القرآني:

تمهيد:

جاء القرآن الكريم لدعوة الناس جميعا إلى صراط الله المستقيم وإلى بناء مجتمع إسلامي متماسك يحقق الخيرية المنتظرة منه، وقد اتخذ في ذلك أساليب عديدة متنوعة، منها: القصص، فالقصص القرآني يمتاز بصدق كلماته ومواضيعه، وكذلك بسمو الغاية، وهو أنفع لقول الله عز وجل: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الالْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُومِنُونَ**﴾ **[يوسف: 111]**.

فمن مقاصده نفع الناس في حوائجهم، والاعتبار من السابقين.

1- مفهوم القصة:

1-1 في المعاجم اللغوية:

جاء في مقاييس اللغة: " قصّ: القاف والصاد أصل صحيح يدل على تتبع الشيء. ومن ذلك قولهم: اقتصصت الأثر، إذا تتبعته. ومن ذلك اشتقاق القصاص في الجراح، وذلك أنه يفعل به مثل إذا فعله بأول، فكأنه اقتص أثره. ومن باب القصة والقصص، كل ذلك يتتبع فيذكر من باب: قصصت الشعر، وذلك أنّك إذا قصصته فقد سويت بين كل شعرة وأختها فصارت الواحدة كأنها تابعة للأخرى متساوية لها في طريقها. والقصة: الناصية "[1].

وأورد صاحب تاج العروس: "(قصّ أثره)، يقصه (قصا وقصيصا)، والصحاح: (تتبعه) وفي التهذيب: القص: إتباع الأثر. وقوله تعالى: (وقالت لأخته قصيه): أي تتبعي أثره. وقص عليه الخبر: أعلمه به، ومنه قص الرؤيا. وقوله تعالى: (نحن نقص عليك أحسن القصص) أي: نبين لك أحسن البيان"[2].

1-2- في القرآن الكريم:

﴿**إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ (آل عمران الآية 62)، وكذلك﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ**

[1] ابن فارس، مقاييس اللغة، ج5، ص 11.

[2] الزبيدي، تاج العروس ، تح: عبد الكريم العزباوي، مكتبة حكومة الكويت، الكويت، 1989،ج 18، ص98 /99.

وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف الآية111].

2- مفهوم القصص القرآني:

2-1 في المعاجم اللغوية:

"يقال قص فلان فلانا، وضربه ضربا فأقصه أي أدناه من الموت، والقص الجص ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تقصيص القبور"[1].

ويتّضح لنا من خلال هذا المعنى اللغوي للقصة أنّ معناها تتبع الأخبار والحديث ويمكن القول أنّ القصة: عبارة عن كلام يحكيه راو عن أحداث.

2-2 اصطلاحا:

وردت تعاريف كثيرة للفظة "القصص " لدى العلماء، منها:

ما ذكره الشيخ عبد الكريم الخطيب: "بأنّ لفظ القصص يطلق على ما حدث من أخبار القرون الأولى: في مجالات أمورهم السماوية، وما كان يقع في محيطها من صراع بين قوى الحق والظلال، وبين مواكب النور وجحافل الظلام"[2].

ويقول مناع القطان: "وهو الإخبار عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة والحوادث الواقعة، وقد اشتمل القرآن على وقائع الماضي، وتاريخ الأمم، وذكر البلاد والديار، وتتبع آثار كل قوم، وحكي عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه"[3].

ومما سبق ذكره من تعريفات القصص القرآني بأنّها عبارة على مجموعة أحداث وقعت في زمن مضى متعلقة بشخصيات إنسانية سواء كانت حقيقة أو خيالية.

3- الخصائص الفنيّة للقصص القرآني:

إنّ القصص القرآني يقوم على أسس وخصائص فنيّة رائعة، فهي تحقق الغرض الديني عن طريق جمالها الفني، الذي يجعل ورودها إلى النفس أيسر، ووقعها في الوجدان أعمق.

---

[1] ينظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مكتبة نزار مصطفى الباز، بيروت، ج1، ص 523/522.

[2] عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط2، 1975، ص40.

[3] مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، الدار السعودية للنشر، جدة، ص 260.

وأهم هذه الخصائص ما يلي:

3-1 تنوع طريقة العرض:

وقد لاحظنا في قصص القرآن أربع طرائق مختلفة للابتداء في عرض القصة وهي على النحو التالي:

3-1-1 مرة يذكر ملخص للقصة يسبقها، ثم يعرض التفصيلات بعد ذلك من بدايتها إلى نهايتها، ومثال ذلك قصة " أهل الكهف " فهي تبدأ هكذا ﴿**أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا** ﴿9﴾ **إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا** ﴿10﴾ **فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا** ﴿11﴾ **ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا** ﴿12﴾ (سورة الكهف من الآية 9 إلى 12).

ذلك ملخص للقصة، قبل دخولهم الكهف وحالتهم بعد دخوله، نومهم، ويقظتهم وإرسالهم واحدا منهم ليشتري طعاما، وكشفه في المدينة، وعودته وموتهم واختلاف القوم في أمرهم ...، فكأنّ هذا التلخيص كان مقدمة مشوقة لتفصيلات"[1]. وهي تقنية من التقنيات الحديثة المستعملة في السرد، وهو ما يعرف بالاستباق، ويعتبر مفارقة سردية زمنية يعتمد عليها الراوي في عرضه للأحداث، "وهناك أيضا إمكانية استباق الأحداث في السرد بحيث يتعرف القارئ على وقائع قبل أوان حدوثها الطبيعي في زمن القصة" [2].

3-1-2 ومرة تذكر عاقبة القصة ومغزاها: " ثم تبدأ القصة بعد ذلك من أولها وتسير بتفصيل خطواتها، وذلك كقصة موسى في سورة القصص وهي تبدأ هكذا :﴿**طسم** ﴿1﴾ **تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ** ﴿2﴾ **نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴿3﴾ **إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ** ﴿4﴾ **وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ** ﴿5﴾ **وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ**

[1] سيد قطب، التصوير الفني للقران الكريم، دار الشوق، القاهرة، ط17 ،2004، ص180-181.

[2] حميد لحميداني، بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991، ص74.

فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿6﴾ (القصص من الآية 1 إلى الآية 6)

ثم يمضي في تفصيلات قصة موسى: مولده ونشأته وكبره، وقتله المصري وخروجه ... مبرزا الصراع الدرامي بين فرعون وموسى عليه السلام، وهو من أهم العناصر التي يرتكز عليها البناء الدرامي، ويعني وجود قوتين متعارضتين ينتج عن تقابلهما التحام ما يدفع الحدث للأمام. فكأن هذه المقدمة التي تكشف الغاية من القصة كانت تمهيدا مشوقا لمعرفة الطريقة التي تتحقق بها هذه الغاية الموسومة، وقريب من هذا النحو قصة يوسف، فهي تبدأ بالرؤيا يقصها يوسف على أبيه فينبئه أبوه بأن له شأنا عظيما. هكذا **﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ و".قَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿4﴾ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿5﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿6﴾**سورة يوسف الآية من4 إلى 6.

ثم تسير القصة بعد ذلك، وكأنما هي تأويل للرؤيا، ولما توقعه يعقوب من ورائها، حتى إذا تحققت أنهى القصة "[1]. وهذا أيضا نوع من الاستباق في الأحداث

3-1-3 ومرة تذكر القصة مباشرة بلا مقدمة ولا تلخيص: "ويكون في مفاجأتها ما يغني عن المقدمة والتلخيص ومثال ذلك قصة مريم عند ولادتها عيسى عليهما السلام، وقصة سليمان عليه السلام مع بلقيس والهدهد والنمل، وغيرهما من القصص"[2].أي يحدث كسر لأفق توقع القارئ بلغة نظرية التلقي حيث أن القارئ لا يتوافق أفقه مع أفق النص فيحدث له كسر.

3-1-4 مرة يحيل القصة تمثيلية: وما يدعى أيضا (بالعرض التمثيلي):

_" وهو العرض الذي يقوم على إبراز المشاهد الرئيسية ، والأساسية في القصة بشكل واضح أمام الناظر، فيذكر فقط من الألفاظ ما ينبه إلى ابتداء العرض، ثم يدع القصة تتحدث عن نفسها بوساطة أبطالها، ويترك بين المشهد والآخر فجوات ويفسح المجال للخيال

[1] سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص182 -181.

[2] مصطفي ديب البغا، الواضح في علوم القرآن، دار الكلم ودار العلوم الإنسانية، دمشق، ط 2، 1998، ص195.

حتى يملأها، وفي هذه الطريقة من العرض سمة بارزة في القصص القرآني تعطي القيمة الفنية للقصة، وتبعث فيها الحياة، ومن أمثلة ذلك _قصة نوح التي وردت في سورة هود _عليهما السلام _بقوله تعالى : ﴿ **وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**﴾ (سورة هود الآية 36). فالقصة تضع أمامنا مشهد نوح عليه السلام وهو يتلقى الوحي الإلهي الذي يفقده الأمل من إيمان قومه، ويخبره بحلول العقاب فيهم ويأمره بصنع السفينة، التي ستكون سبب نجاته ومن معه من المؤمنين، ثم يشرع نوح عليه السلام بتنفيذ أمر الله عز وجل بينما قومه الهالكين من حوله يهزؤون ويسخرون والفجوة التي تركها العرض بين المشهدين ليملأها الخيال: هي تلك الأحداث التي لابد منها من العزم وإحضار المواد الأولية، وإنما طويت حتى لا تفسد بذكرها العرض الفني للقصة".[1]

وهو نفس المفهوم الذي جاء به آيزر أحد قطبي نظرية التلقي ألا وهو الفجوات أو ما يعرف أيضا بالفراغات، "توجد في النص مجموعة من الفجوات أو الفراغات التي يتركها المؤلف للقارئ من أجل ملأها، فكل جملة تمثل مقدمة للجملة التالية وتسلسل الجمل يحاصر بمجموعة من الفجوات غير المتوقعة، والتي يقوم القارئ يملئها مستعينا بمخيلته"[2].

3-2 تنوع طريقة المفاجأة:

3-2-2 فمرة يكتم سر المفاجأة عن البطل وعن المتلقين:

"حتى يكشف لهم معا في آن واحد ، مثال ذلك قصة موسى مع العبد الصالح العالم في سورة الكهف فهي تجرى : **وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿60﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿61﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿62﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أنساني إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ۚ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿63﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿64﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿65﴾ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿66﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿67﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿68﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿69﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ**

[1] المرجع السابق، ص 196.

[2] عبد الله خضر حمد، مناهج النقد الأدبي السياقية و النسقية، ص 400.

أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿70﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿71﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿72﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿73﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿74﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿75﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿76﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿77﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴿78﴾ [سورة الكهف]

فنجد أنفسنا أمام العديد من المفاجآت المتوالية التي لا نعلم لها سرا وموقفنا منها كموقف بطلها موسى، بل نحن لا نعرف من الذي يتصرف تلك التصرفات العجيبة ولا ينبئنا القرآن باسمه، وها هو موسى يريد أن يلقى هذا الرجل الموعود ولكن فتاه ينسى غداءهما عند الصخرة، وكأنما نسيانه مفتعل ليعودوا للصخرة من جديد، فيلتقي بالرجل هناك فلولا أن الفتى نسي الغداء ما كان سيحصل هذا اللقاء كله أجواء غامضة ومجهولة.

ثم يأخذ السر في التجلي، فيعلمه المتلقين حين يعلمه موسى: **أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿79﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿80﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿81﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿82﴾ (سورة الكهف)**

وفي دهشة السر المكشوف يختفي الرجل كما ظهر، والسؤال المطروح هنا من هذا الرجل؟ ولكن لا وجود لجواب على هذا السؤال بدأ غامضا ومضى غامضا، ففي هذه القصة حكمة بالغة "[1].

3-2-3 ومرة يكشف السر للمتلقين: "ويترك أبطال القصة عنه في عملية ظنّ، وهؤلاء يتصرفون وهم جاهلون بالسر وأولئك يشاهدون تصرفاتهم عالمين، وذلك من باب

[1] سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص186.

السخرية، ليشترك المتلقين فيها، منذ أول لحظة حيث تتاح لهم السخرية من تصرفات الممثلين. وقد شاهدنا مثلا من ذلك في قصة أصحاب الجنة:﴿**إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ سورة القلم الآية 17﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ الآية 18. ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نائمون الآية 19﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ الآية20،** وبينما نحن نعلم هذا ، كان أصحاب الجنة يجهلونه : **فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿21﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُم صَارِمِينَ ﴿22﴾ فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴿23﴾ أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ ﴿24﴾ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴿25﴾**

وقد ظللنا نحن المتلقين نسخر منهم، وهم يتنادون ويتخافتون، والجنة خاوية كالصريم حتى انكشف لهم السر أخيرا بعد أن سخرنا منهم: (قالوا: إنا لضالون. بل نحن محرومون) وذلك جزاء من يحرم المساكين. _ومرة يكشف بعض السر للمتلقين ويخفيه على البطل في موضع وعن المتلقين في موضع آخر في القصة الواحدة. مثال ذلك قصة عرش بلقيس الذي جيء به في غمضة، وعرفنا نحن انه بين يدي سليمان، في حين أن بلقيس ظلت تجهل ما نعلم :((فلما جاءت قيل: أهكذا عرشك؟ قالت: كأنه هو)) فهذه مفاجأة عرفنا نحن سرها سلفا، ولكن مفاجأة الصرح الممرد من القوارير ظلت خافية علينا وعليها حتى فوجئنا بسرها معها حينما قيل لها ادخلي الصرح، فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها، قال: إنه صرح ممرد من قوارير))

3-2-4 ومره لا يكون هناك سر، بل تواجه المفاجأة البطل والمتلقين معا في آن واحد:

ويعلمان سرها معا في الوقت نفسه: وذلك كمفاجآت قصة مريم، حين اتخذت من دون أهلها حجابا، فتفاجأ هناك بالروح الأمين في هيئة رجل فتقول: ((إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا)). نعم " عرفنا قبلها بلحظة أنه (الروح)، ولكن الموقف لم يطل فقد أخبرها قال: إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا: وقد فوجئنا كذلك معها أجاءها المخاض إلى جذع النخلة ((قالت: يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا، فنادها من تحتها ألاّ تحزني قد جعل ربك من تحتك سريا ...الخ "[1]. وكسر أفق توقعنا فلا أحد منا نحن كمتلقين كان يتوقع حدوث ذلك وبتلك الكيفية.

[1] المرجع السابق، ص187.

3-3 في عرض القصة:

"تلك الفجوات بين المشهد والآخر التي يتركها تقسيم المشاهد "قص" والمتلقي مما يؤديه في المسرح الحديث إنزال الستائر، وفي السينما الحديثة انتقال الحلقة، بحيث تترك بين كل مشهدين أو حلقتين فجوة يملؤها الخيال، ويستمتع بإقامة القنطرة بين المشهد السابق والمشهد اللاحق، هذه الطريقة متعبة في القصص القرآني على وجه التقريب، ومثال ذلك قصة يوسف عليه السلام: فالقصة قسمت ثمانية وعشرين مشهدا، فلنعرض بعض مشاهدها:

لقد قدم إخوة يوسف وهو على خزائن الأرض، في سنوات الجدب يطلبون القمح، فطلب إليهم أن يحضروا أخاهم من أبيهم _شقيقه _ فأحضروه _ على كره من أبيهم، ثم وضع صواغ الملك في رحله وأخذ به رهينة، باسم أنه سارق ليبقيه يوسف عنده فاقترح إخوته أن يأخذ أحدهم مكانه لكن يوسف أبى ذلك:

﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ سورة يوسف الآية80.وهنا يستدل الستار لنتلقى بهم في مشهد آخر لا في مصر ولا في الطريق، ولكن أمام أبيهم قالوا له ما وساهم به أخوهم دون أن نسمعهم يقولون ، إنما يرفع الستار مرة أخرى لنجد أباهم يخاطبهم: ﴿ **قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ سورة يوسف الاية83.** ويستدل الستار، وهنا نرى مشهد آخر بين يعقوب وبنيه ، نراه قد ابيضت عيناه من الحزن ، وهو دائم الحسرة على يوسف ، وأبناؤه يستنكرون عليه هذا كله : ﴿ **وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كظيم ﴾سورة يوسف 84،** وهنا يستدل الستار ويطولون الطريق لا نعلم عنهم فيه شيئا، إنما يرفع الستار فنجدهم في مصر أمام يوسف وهكذا تسير قصص أهل الكهف ومريم وسليمان على نسق نفسه"[1].

– ويتّضح لنا من قصة يوسف عليه السلام وجود حذف وإضمار في الوقائع، فهو قائم على حذف فترة زمنية معينه أو عدم التطرق لها ولا لوقائعها أصلا، لذلك نرى أنّ الزمن على مستوى الوقائع طويل، أمّا على مستوى القول فهو قصير جدا. وفي السرد الحديث

[1] المرجع السابق، 188.

يسمى بالخلاصة يقول حميد لحميداني: "هي سرد أحداث ووقائع يفترض أنها جرت في سنوات أو في أشهر أو في ساعات واختزالها في صفحات أو أسطر أو كلمات قليلة دون التعرض للتفاصيل. أي أنها استرجاعي وذلك بتلخيصه لأحداث وقعت في الماضي"[1].

ولقد لعبت هذه المشاهد التي قام القصص القرآني بذكرها على تحقيق الهدف وتبليغ الدعوة، عبر عدت طرق منها التكرار والإعادة من أجل الإلحاح وإبراز أهمية الدعوة.

4- فوائد قصص القرآن:

للقصص القرآنية فوائد نجمل أهمها فيما يلي:

- إيضاح أسس الدعوة إلى الله، وبيان أصول الشرائع التي بعث بها كل نبي ويتبين ذلك في قوله تعالى ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾ **(سورة الأنبياء الآية25) ...**

- تثبيت قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلوب الأمة المحمدية على دين الله وتقوية ثقة المؤمنين بنصرة الحق وجنده، ويظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾

(سورة هود الآية121).

- تصديق الأنبياء السابقين وإحياء ذكراهم وتخليد آثارهم.

- إظهار صدق محمد صلى الله عليه وسلم في دعوته بما أخبره به عن أحوال الماضين عبر القرون والأجيال.

- مقارعته أهل الكتاب بالحجة فيما كتموه من البينات والهدى، وتحديه لهم بما كان كتبهم قبل التحريف والتبديل،

كقوله تعالى ﴿۞ **كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ **(91 سورة آل عمران).**

[1] حميد لحميداني، بنية النص السردي، ص76.

- القصص ضرب من ضروب الأدب، يصغى إليه السمع، وترسيخ عبره في النفس ويتجلى ذلك في قوله﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ **سورة يوسف الآية111**[1].
- ومن خلال ما درسنا تبين لنا أنّ الفائدة والحكمة من ذكر قصص الأنبياء هي أخذ العبرة والموعظة وبيان سنة الله في خلقه مع الأقوام الذين كذبوا الرسل، وكفروهم وكان جزاءهم الهلاك.
- كل الأنبياء بعثوا من أجل الدعوة والهداية وتخليص البشرية من الشر.

وتبقى الغاية الأولى من القصص القرآني هي تأملها وأخذ العبرة منها، وتصحيح العقائد والأخلاق، حتى يصلح الفرد والمجتمع، وهي بدورها تختلف عن القصص العادية المليئة بالخيال والأباطيل على عكس القصص القرآنية التي تتحدث على الواقع وتحتوي على العديد من المعجزات.

وخلاصة هذا الفصل النظري الموسوم ب: **إضاءات تمهيدية حول مفهوم نظرية التلقي والقصص القرآني**، الذي تطرقنا فيه إلى نقطتين مهمتين هما:

- أن نظرية التلقي تعد إحدى النظريات التي تعنى ببحث موضوع استجابة المتلقي للنص الأدبي، والتي استندت إلى عدة فلسفات كانت الحجر الأساس لظهورها وكأي نظرية قامت نظرية التلقي على مجموعة من المفاهيم الإجرائية التي جاء بها كل من هانز روبرت ياوس وفولفغانغ آيزر رائدا هذه النظرية.
- للقصص القرآني خصائص عديدة ومتنوعة، فهي تحقق الغرض الديني عن طريق جمالها الفني، الذي يجعل ورودها إلى النفس أيسر، ووقعها في الوجدان أعمق.

[1] مناع خليل القطان مباحث في علوم القرآن، ص261.

الفصل الثاني

تمثلات كسر أفق التوقع في قصة موسى عليه السلام

المبحث الأول: كسر أفق التوقع في أحداث ما قبل الرسالة.

المبحث الثاني: كسر أفق التوقع في أحداث مجابهة فرعون.

المبحث الثالث: كسر أفق التوقع في دعوة بني إسرائيل.

المبحث الرابع: كسر أفق التوقع في الرحلة مع العبد الصالح.

على مر قرون من الزمن، أرسل الله تعالى الأنبياء لهداية الناس، ولم يكتف بنبي واحد، وإنما رحمته –عز وجل– اقتضت أن يرسل لهم النبي تلو الآخر حتى لا تكون لهم الحجة يوم القيامة، بأن يبلغوا دين الله الحق وشريعته، ومن بينهم النبي مُوسى –عليه السلام– الذي جاءت قصته في آيات وسور عدة، كاسرة فينا أفق توقعنا نحن كمتلقين لما تحمله من مفاجآت عديدة وأحداث غريبة جمعت بين الوعظ الإرشاد والعبر تاركة فينا الأثر الجمالي، وقبل الوقوف على تلكم الجماليات لا بأس أن نستعرض جملة مواضع قصته عليه السلام في القرآن الكريم.

قصة موسى عليه السلام من القرآن الكريم:

لقد وردت قصة سيدنا موسى عليه السلام في العديد من سور القرآن الكريم بداية **بسورة** القصص:

" تبدأ القصة من أول حلقة فيها : من مولد موسى في إبان اضطهاد قومه. فوضعه في التابوت وإلقائه في البحر .والتقاط آل فرعون له، وتحريم المراضع عليه. وقول أمه لأخته أن تقص أثره ومعرفتها بأمره وإشارتها على آل فرعون بمرضع للطفل هي أمه. ثم كبره. ثم قتله للمصري، ومحاولته قتل آخر، وتهديده إياه بإفشاء سر القتلة الأولى. ونصح رجل له بالهرب وقد جاءه من أقصى المدينة يسعى. وخروجه إلى أرض مدين. والتقائه ببنتي شعيب، وسقيه لهما، وإعجاب إحداهما به، وحضها أبيها على استخدامه وعمله مع شعيب. وزواجه بابنته حسب شرطه. ثم انفصاله عنه وذهابه بأهله. ثم رؤيته النار(التي بدأ منها القصة في سورة طه) . ثم تسير القصة كما سارت هناك ، بزيادة واحدة هي تهكم فرعون في قوله: "فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا، لعلي أطلع إلى إله موسى." وتنتهي عند حلقة غرق فرعون بعد خروج موسى. من الآية 1 إلى 49.

سورة الأعراف:

بدأت القصة هنا برسالة موسى وهارون إلى فرعون وملئه (ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وملئه...) ثم ذكرت معجزة العصا واليد البيضاء وجمع السحرة والمباراة بينهم وبين السحرة وغلبته عليهم وإيمانهم به وتعذيب فرعون ببني إسرائيل بعد ذلك. وتسليط الجراد والقمل والدم على فرعون وقومه واستغاثته بموسى، وكف الأذى عنهم، وعودتهم لتعذيب بنى إسرائيل. ثم خروج هؤلاء من مصر. وبعد الخروج طلبهم

من موسى أن يتخذ لهم إلها كما للمصريين آلهة، وتذكيرهم لهم بربهم. ثم ميعاد موسى مع ربه بعد ثلاثين ليلة زيدت إلى أربعين، وطلبه رؤية ربه، ودك الجبل وانصعاق موسى وإفاقته. وعودته إلى قومه حيث وجدهم قد اتخذوا لهم عجلا إلها، وغضبه على أخيه. ثم اختيار سبعين رجلا لميقات ربهم، وغشيهم بالجبل لما طلبوا رؤية الله جهرة وايفاقتهم، ثم دعاؤهم بطلب الرحمة، فالرد عليهم بأن الرحمة قد كتبت للمؤمنين الذين يتبعون النبي الأمي ...

سورة المائدة:112

(قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَومًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدخُلَهَا حَتَّىٰ يَخرُجُواْ مِنهَا فَإِن يَخرُجُواْ مِنهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ 22) ...إلى قوله :

(قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنعَمَ ٱللَّهُ عَلَيهِمَا ٱدخُلُواْ عَلَيهِمُ ٱلبَابَ فَإِذَا دَخَلتُمُوهُ فَإِنَّكُم غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤمِنِينَ 23 قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدخُلَهَآ أَبَدا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذهَب أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ 24 قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَملِكُ إِلَّا نَفسِي وَأَخِيۖ فَٱفرُق بَينَنَا وَبَينَ ٱلقَومِ ٱلفَٰسِقِينَ 25)

ويتركهم هنالك في التيه فلا يأتي بعد ذلك ذكر لموسى ولا يذكر عن بني إسرائيل إلا تفرقهم وعداؤهم للمسيح.

سورة البقرة:

ويأتي تفصيل آخر لسورة البقرة في معرض تذكير بني إسرائيل بنعم الله عليهم ومقابلتهم هذه النعم بالمماطلة والجحود، وفي هذا المعرض تكرر بعض الحلقات التي سبقت في قصة موسى ومن ذلك إعطائهم المن والسلوى ولكن نزيد هنا تبطرهم على هذه النعم، وطلبهم أطعمة منوعة بدل المن والسلوى. ثم حلقة البقرة التي أمرهم الله بذبحها، فجعلوا يتلكئون، (فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ) وهي كما ترى حلقة جديدة لم تذكر من قبل أصلا"[1].

[1] سيد قطب : التصوير الفني ص 155. 162.

سورة الكهف: تبدأ القصة حينما يلتقي موسى مع العبد الصالح

قصة السفينة:

(فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿71﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿72﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿73﴾)

قصة الغلام:

(فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿74﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿75﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿76﴾)

قصة الجدار:

(فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿77﴾)

المبحث الأول: كسر أفق التوقع في أحداث ما قبل الرسالة

1-المشهد الأول: ولادة موسى عليه السلام

(وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ (37) إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ (38) أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ (39) [سورة طه من الآية 37-39].

كانت الظروف التي ولد فيها موسى عليه السلام قاسية على بني إسرائيل فقد كان فرعون يقتل كل أبناءهم كما ورد في بداية سورة القصص

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿4﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿5﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿6﴾ [سورة القصص من الآية 4-6]

ويقول سيد قطب في ظلال القرآن"وقبل أن يبدأ القصة يرسم الجو الذي تدور فيه الحوادث، والظرف الذي يري فيه القصص، ويكشف عن الغاية المخبوءة وراء الأحداث والتي من أجلها يسوق هذه القصص، وهي طريقة من طرق العرض القرآني للقصة. تساوق موضوعها وأهدافها في هذا الموضع من القرآن"[1].

ومن الجدير بالذكر أن القصة في سورة القصص ذكرت عاقبة القصة، ومغزاها ثم تبدأ القصة بعد ذلك من أولها، وتسير بتفصيل خطواتها، وهذه طريقة فنية في العرض"[2] .

ولما ولد موسى عليه السلام خافت أمه عليه، وعجزت عن إخفائه فتدخلت قدرة الخالق بأن ألهمها بوضعه في تابوت، ومن ثم في النيل.

قال الله – تعالى – في سورة "طه" عن ولادة موسى – عليه السلام – وإرضاعه:

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿37﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿38﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿39﴾ [سورة طه من الآية 37-39].

---

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1972، مج 4، ص2677.

[2] سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط17، 2004، ص181.

يقول الزمخشري: "أي حصل فيه الحسن ووضعه فيه والضمائر كلها راجعة إلى موسى، ورجوع بعضها إليه وبعضها إلى التابوت فيه هجنة؛ لما يؤدي إليه من تنافر النظم.

فإن قلت: المقذوف في البحر هو التابوت، وكذلك الملقي إلى الساحل.

قلت: ما ضرك لو قلت: المقذوف، والملقى هو موسى في جوف التابوت؛ حتى لا تفرق الضمائر فيتنافر عليك النظم الذي هو أم إعجاز القرآن، والقانون الذي وقع عليه التحدي، ومراعاته أهم ما يجب على المفسرة لما كانت مشيئة الله تعالى وإرادته ألا تخطئ جريه ماء اليم الوصول به إلى الساحل وألقاه إليه سلك في ذلك سبيل المجاز، وجعل اليم كأنه ذو تمييز، أمر بذلك ليطيع الأمر يمتثل رسمه، فقيل: فَلْيُلْقِهِ الْيَمُ بالساحل)"[1].

ولعل هذا الآيات جاءت" إجابة من الله لرسوله موسى عليه السلام فيما سأل من ربه عز وجل، وتذكير له بنعمه السالفة عليه فيما كان من أمر أمه حين كانت ترضعه، وتحذر عليه من فرعون وملئه أن يقتلوه لأنه كان قد ولد في السنة التي يقتلون فيها الغلمان فاتخذت له تابوتا فكانت ترضعه ثم تضعه فيه، وترسله في البحر، وهو النيل وتمسكه إلى منزلها بحبل فذهبت مرة لتربط الحبل فانفلت منها وذهب به البحر فحصل لها من الغم والهم ما ذكره الله عنها في قوله « وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها » فذهب به البحر إلى دار فرعون « فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا » أي قدرا مقدورا من الله حيث كانوا هم يقتلون الغلمان من بني إسرائيل حذرا من وجود موسى فحكم الله وله السلطان العظيم والقدرة التامة أن لا يربى إلا على فراش فرعون ويغذى بطعامه وشرابه ومع محبته وزوجته له ولهذا قال تعالى « يأخذه عدو لي وعدو له وألقيت عليك محبة مني » أي عند عدوك جعلته يحبك قال سلمة بن كهيل « وألقيت عليك محبة مني » قال حببتك إلى عبادي"[2].

ومن جهة أخرى يرى سيد قطب "إنها مقابلة عجيبة في تصوير المشهد. مقابلة بين القوى الجبارة الطاغية التي تتربص بالطفل الصغير، والخشونة القاسية فيما يحيط به من ملابسات وظروف.. والرحمة اللينة اللطيفة تحرسه من المخاوف، وتقيه من الشدائد وتلفه من الخشونة، ممثلة في المحبة لا في صيال أو نزال: «ولتصنع على عيني ... وما

[1] الزمخشري، الكشاف، تح عادل أحمد عبد الموجود وآخر، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1998، ج 4، ص1996.

[2] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم، بيروت لبنان، ط1، 2000، ص1211.

من شرح يمكن أن يضيف شيئاً إلى ذلك الظل الرفيق اللطيف العميق الذي يلقيه التعبير القرآني العجيب: «ولتصنع على عيني» وكيف يصف لسان بشري، خلقاً يصنع على عين الله؟ إن قصارى أي بشري أن يتأمله ويتملأه ... إنها منزلة وإنها كرامة أن ينال إنسان لحظة من العناية. فكيف بمن يصنع صنعاً على عين الله؟ إنه بسبب من أن يتلقى ذلك العنصر العلوي الذي تلقاه"[1].

1 -1 كسر أفق التوقع على مستوى اللفظ:

إنّ الكلام البليغ إذا كانت المعاني تنساب فيه انسيابا في حالة التوقع بما يعين على استباقها أو استباقها بألفاظها، فإنّه كذلك عندما يكسر أفق التوقع، والمعاني الفياضة مترتبة على هذا المتغير في الأسلوب، الذي يسميه التراثيون مخالفة الأصل ويسميه المحدثون: كسر أفق التوقع[2]. ومن أساليبه (كسر أفق التوقع) الالتفات الذي هو موجود في هذه الآيات:

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿37﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿38﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿39﴾.

والالتفات "هو نقل الكلام من أسلوب إلى آخر يعني من المتكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى آخر منها بعد التعبير الأول"[3].

فقد التفت من (إذ أوحينا الى أمك) وهو للخطاب إلى (أن اقذفيه في التابوت) وهو للغيبة.

وهنا أيضا جاء الخبر بصيغة الأمر، وخروج الخبر عن غرضيه الأصليين (فائدة الخبر ولازم الخبر) إلى غرض آخر وهو الأمر هذا ما لم يكن يتوقعه القارئ ومنه يكسر أفق توقعه.

وفي سورة القصص: **﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿7﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿8﴾ وَقَالَتِ**

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن، مج4، ص2334-2335.

[2] أحمد سعد الخطيب، من أساليب القرآن الكريم في كسر أفق توقع، مجلة الدرسات القرآنية، جامعة الامام محمد بن سعود الألمانية،ع 10، 1433هـ، ص490.

[3] المرجع نفسه، ص 491.

ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿9﴾ وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿10﴾ [سورة القصص الآية 7-10].

القصة تبدأ بجملة فعلية (وأوحينا...) ثم نجد في هذا الحديث الجملة الاسمية (إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين)، ففي استخدام حرف مشبه بالفعل "إن" مع ضمير المتكلمين "ناء" إفادة التوكيد، أي لما أراد أن يؤكد سبحانه وتعالى قوله جاء بجملة اسمية داخل الجملة الفعلية، وهنا الحدث جاء بصيغة الغائب مثل الأفعال: أرضعيه واقذفيه وكأنه سبحانه وتعالى يحكي القصة أما في سورة طه فقد جاء بصيغة الخطاب وكذلك الأفعال في سورة القصص بصيغة الماضي أرضعيه أما في سورة طه بصيغة المضارع فليلقه اليم.

﴿ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴿39﴾ في هذه الآية استعارة

إلقاء المحبة حيث حوّل المحبة من شي مجرد الى محسوس وكأنّ المحبة شيء يلقى، واستعمال الاستعارة التي تمثل انزياح وخروج عن المألوف يحدث للمتلقي كسر لأفق توقعه ويترك فيه الأثر الجمالي.

1-2 كسر أفق التوقع على مستوى المعنى:

عندما خافت أم موسى على ابنها من القتل كان من المتوقع أن تضعه في مكان آمن ولكن سرعان ما كسر هذا الأفق حينما ألقت به في اليم بوحي من الله عز وجل، فمن بداية القصة يصدم المتلقي بأحداث لم يكن مستعد لحدوثها، ولم تقف الأحداث هنا فمن الطبيعي أنّ الإلقاء في اليم يشكل خطرا على الطفل فاحتمالية النجاة شبه تكون منعدمة سواء للأم أو للمتلقي، فحصلت الصدمة الثانية في أن نجى الرضيع، ولكن أين ذهب؟ إلى بيت العدو إلى الذي بسببه رمت بابنها في اليم إلى قاتل الغلمان، فتحصيل حاصل أنّ ذلك الطفل سيقتل كباقي الغلمان وبسهولة فحدث المفاجئة أنّ فرعون امتنع من قتل، والأدهى من ذلك أن اتخذه ولدا له بطلب من زوجته فهذه الأحداث الغريبة وراء بعضها، وفي بداية القصة تجعلنا نحن كمتلقين ننبهر أكثر بهذه القصة، ونحس بجماليتها ونعيش كل تفاصيها تاركة فينا ما حملته القصة من إرشاد ووعظ ويقين بقدرة الخالق سبحانه وتعالى ومعيته بطريقة مشوّقة وفنية تجعل منّا نذرف الدموع في أحداثها ونفرح...الخ. **﴿ وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ﴿37﴾ إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿38﴾ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ**

ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴿39﴾

تحتوي هذه الآيات على تقنية الاسترجاع، فلقد عادت بنا الآيات إلى الماضي إلى بداية القصة، والتذكير بمنن الله تعالى على موسى عليه السلام، واستخدام هذه التقنية يجعل المتلقي يشعر بالانبهار والدهشة في كيفية تناول الأحداث، ويجعله شديد الانتباه، كما أنّ هذه التقنية تكسر أفق توقعه فهو كان يتوقع مجيء الأحداث بترتيب زمني طبيعي، وإذ به يكسر هذا الأفق فيحاول إعادة ترتيبها من جديد ويتفاعل معها تاركة فيه البعد الجمالي.

ذكرت ولادة موسى عليه السلام في سورتي القصص وطه.

2- المشهد الثاني: قتل موسى عليه السلام الرجل القبطي:

قال الله تعالى في سورة "القصص:

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿14﴾ وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ يَقۡتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦۖ فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ ﴿15﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿16﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ ﴿17﴾ [سورة القصص الآية 14-17].

يقول الزمخشري: "المدينة: مصر. وقيل: مدينة منف من أرض مصر. وحين غفلتهم: ما بين العشاءين. وقيل: وقت القائلة، وقيل: يوم عيد لهم هم مشتغلون فيه بلهوهم. وقيل: "(لما شب وعقل أخذ يتكلم بالحق وينكر عليهم، فأخافوه، فلا يدخل قرية إلا على تغفل. وقرأ سيبويه: فاستعانه ومِن شِيعَيْهِ) ممن شاعه على دينه من بني إسرائيل. وقيل: هو السامري من عضوم من مخالفيه من القبط، وهو فاتون، وكان يتسخر الإسرائيلي لحمل الحطب إلى مطبخ فرعون والوكز الدفع بأطراف الأصابع، وقيل: يجمع الكف. وقرأ ابن مسعود: فلكزه باللام وقضى عليه فقتله. إن قلت: لم جعل قتل الكافر من عمل الشيطان وسماه ظلماً لنفسه واستغفر منه؟ قلت لأنه قتله قبل أن يؤذن له في القتل، فكان ذنباً يستغفر منه عن ابن جريج ليس لنبي أن يقتل ما لم يؤمر وبما أنعمت عليّ يجوز أن يكون قسماً جوابه محذوف تقديره

أقسم بإنعامك عليّ بالمغفرة لأتوبنّ فَلَن أكون ظهيرا للمصريين)"[1]. وقوله تعالى: (هَذَا مِن شِيعَتِهِ) أي: من بني إسرائيل، وَهَذَا مِنْ عدوه) أي: قبطي، قاله ابن عباس، وقتادة، والسدي ومحمد بن إسحاق، فاستغاث الإسرائيلي بموسى عليه السلام ووجد موسى فرصة، وهي غفلة الناس، فعمد إلى القبطي فوكزه مُوسَى فَقضَى عَلَيْهِ. قال مجاهد: وكزه، أي: طعنه بجمع كفه. وقال قتادة: وكزه بعصا كانت معه فقضى عليهم أي كان فيها حتفه فمات قال موسى هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين"[2] .

2-1 كسر أفق التوقع على مستوى اللفظ:

إنّ الأسلوب القصصي القرآني يتميز بدقة انتقاء الألفاظ أي حسن اختيارها، ووضعها في موضعها. "تعكس لفظة الوكز تفرد هذا الموضع في قصة موسى في القرآن الكريم فلم يرد الحديث عن تلك الحادثة إلا في هذا الموضع من سورة القصص فحسب، كما تعكس الفريدة تفرد هذا الموقف في تاريخ الأنبياء الذين حكى القرآن قصصهم، وربما تعكس تفرد مثل هذه الحالة في تاريخ الإنسانية فمن النادر جدا أن يموت إنسان بوكزه إلا إذا صادفت قدره"[3].

وعرف الجوهري الوكز بقوله: "وكز: الأصمعي: وكزه مثل: نكزه، أي: ضربه ودفعه. ويقال: وكزه "[4].

2-2 كسر أفق التوقع على مستوى المعنى:

موسى عليه السلام عندما دخل المدينة وجد الرجلين يقتتلان فاستنجده(طلب منه النجدة) الذي من قبيلته على الآخر القبطي، فهمّ موسى بدفع القبطي عن الإسرائيلي قصد الإبعاد وفك النزاع، وكان توقعنا وتوقع موسى عليه السلام أن ينتهي هذا النزاع، ويذهب كل في طريقه، ولكن ما حدث كان غير المتوقع غير غاية موسى عليه السلام فتلك الدفعة كانت قاتلة، وهنا كسر أفق توقع موسى عليه السلام والإسرائيلي، وكسر أفق توقعنا نحن مما

---

[1] الزمخشري، الكشاف، ج4، ص488.

[2] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص1411.

[3] عبد الله عبد الغني جان، الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية، مركز التدبر للاستشارات التربوية والتعليمية، الرياض، ط1 2012، ص122.

[4] الجوهري، الصحاح، تح: محمد تامر، دار الحديث، القاهرة، 2009، ص1265.

جعلنا نشعر بحجم المسافة الشاسعة بين أفق توقعنا قبل وقوع الفعل وهو القتل، وبعد وقوعه، ولنعيد من جديد بناء أفق آخر مغاير لما سبقه يتناسب بناء على هذا الحدث وتتغير معه مشاعرنا إلى حالة الحزن. وهذا ما يصطلح عليه (اندماج الأفق).

ذكرت قصة القتل في سورتي القصص وطه.

3- المشهد الثالث: سقي موسى عليه السلام للبنتين ومصاهرته للشيخ:

قال تعالى في سورة القصص:

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿22﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿23﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿24﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿25﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿26﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿27﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴿28﴾ [سورة القصص الآية 22-28]

يقول الزمخشري: "أن العناية هي سبب التقدم، وقد صدقت حتى جعل لها ما هو أحق بأن يكون خبراً اسماً، وورود الفعل بلفظ الماضي للدلالة على أنه أمر قد جرب وعرف. ومنه قولهم: أهون ما أعملت لسان . وعن ابن مسعود – رضي الله عنه .: أفرس الناس ثلاثة: بنت شعيب، وصاحب يوسف، في قوله عسى أن ينفعنا، وأبو بكر في عمر روي أنه أنكحه صفراء وقوله: ومن فيه دليل على أنه كانت له غيرهما وتأجرني من أجرته إذا كنت له أجيراً، كقولك: أبوته إذا كنت له أباً، أو من أجرته كذا إذا أثبته إياه ومنه تعزية رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: أجركم الله ورحمكم. وثماني حجج: مفعول به ومعناه رعية ثماني حجج فإن قلت: كيف أن ينكحه إحدى ابنتيه من غير تمييز؟ قلت: لم يكن ذلك عقداً للنكاح، ولكن مواعدة ومواصفة أمر قد عزم عليه، ولو كان عقداً لقال: قد أنكحتك ولم يقل: إني أريد أن أنكحك فإن قلت: فكيف صح أن يمررها إجارة نفسه في رعية الغنم، ولا بد من

تسليم ما هو مال؟ ألا ترى إلى أبي حنيفة كيف منع أن يتزوج امرأة بأن يخدمها سنة وجوز أن يتزوجها بأن يخدمها عبده، سنة، أو يسكنها داره سنة، لأنه في الأول: مسلم"[1] . ويرى ابن كثير في قوله تعالى: ﴿ **قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿26﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ**﴾، أي طلب إليه هذا الرجل الشيخ الكبير أن يرعى عنه ويزوجه إحدى ابنتيه هاتين. قال شعيب الجبائي: وهما صفوراً، وليا. وقال محمد بن إسحاق: صفوراً وشرقاً ويقال: ليا. وقد استدل أصحاب أبي حنيفة رحمه الله تعالى بهذه الآية على صحة البيع فيما إذا قال: «بعتك أحد هذين العبدين بمائة. فقال: اشتريت أنه يصح، والله أعلم. وقوله: ﴿**عَلَى أَن تَأْجُرَنِ ثماني حجج فَإِنْ أَتممْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ**) أي: على أن ترعى عني ثماني سنين فإن تبرعت بزيادة سنتين فهو إليك، وإلا ففي ثمان كفاية، وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصالحين) أي: لا أشاقك ولا أؤذيك، ولا أماريك"[2]. في حين يرى سيد قطب في والد البنتين : "فلما قال شعيب لسيدنا موسى بعد أن رأى بأسه وشجاعته – أنه يريد أن يزوجه واحدة من ابنتيه، على أن يكون مهرها العمل عنده ثماني سنوات، فإن أتم عشرا فتطوعًا من عنده، اقتضت الآية أن تختتم بأن سيدنا موسى سيرى من شعيب أنه من الصالحين المحسنين في المعاملة، الموفين بالعهد، فجاء جرس النون تسبقه الكسرة الطويلة بما تحتويه من مد، أعطت تطريبا مميزا للفاصلة، فأصبح المعنى ذا أثر واضح في نفس السامع. ولما كانت الآية تتحدث عن عقد وشرط بين الطرفين، فإن الأمر بطبيعته يحتاج إلى شاهد ووكيل، فاكتفى بأن يكون الله وكيلا، فختمت الآية التي تليها بقوله: والله على ما نقول وكيل"، فصوت اللام بما يمتلكه من صفات كالجهر والتوسط والجانبية وغيرها أعطى تميزا موسيقيا جليًا، هو بلا شك يشكل إيقاعا عذبًا، سلسلًا، وتناغما صوتيًا يسير النطق، فيتدفق حينها النطق"[3].

3-1 كسر أفق التوقع على مستوى اللفظ:

[1] الزمخشري، الكشاف، ج 4، ص494.

[2] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص1414.

[3] سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 5، ص110.

ونجد في قوله تعالي ﴿ **وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ** ﴿23﴾.

التفات حيث تم الانتقال من الغيبة **(يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ)** إلى المخاطب **(قَالَ مَا خَطْبُكُمَا)**. وهذا ما يلفت القارئ ويكسر أفق توقعه.

والملاحظ في هذا المشهد" وجود ايجاز قائم على حذف المفعول به في أربعة مواضع(يسقون) و(تذودان) و(لا نسقي) و(فسقى لهما)، إذ المعنى: وجد أمة من الناس يسقون مواشيهم وامرأتين تذودان مواشيهم، وقالتا لا نسقي مواشينا فسقى لهما مواشيهم، وواضح أنّ حذف المفعول به هنا قد ركّز انتباه المتلقي على الحدث دون سواه، إذ لم يعقب بذكر المفعول به حتى لا ينتقل ذهن السامع إليه، ويأخذ حيزا من انتباهه وتفكيره فإبراز الحدث مع إسقاط متعلقة يكون مدعاه للفت انتباه المتلقي إليه وتركيزه فيه إذ هو المهم في نظر المتكلم، وهو الذي يريد توكيده وتعظيمه"[1] .

ومنه فحذف عنصر عناصر الجملة، وهو المفعول به يعد كسرا لأفق توقع المتلقي تاركا فيه هذا الحذف الأثر الجمالي، فهو كان يتوقع التصريح عنه، ولكن هذا الأفق كسر.

وكذا في قوله تعالى **(فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ)** حذف، فلم يعد ذكر التفاصيل لنا، وما الذي قاله للشيخ، وإن كانت معلومة لدينا، ولكنه يبقى فجوة يملؤها القارئ بخياله بحيث يعطي القرآن الكريم الحصيلة النهائية، وما يريد توصيله من العبرة والوعظ ويبتعد عن التفاصيل التي يمكن لأي قارئ أن يفهمها، والأكيد أنّ تلقي القارئ لهذه الصدمات المتوالية لأفق توقعه يظهر أنّ النّص القرآني متميز، وفي أرقى درجاته الفنيّة، فهو لا يفقد جماليته أبدا.

3-2 كسر أفق التوقع على مستوى المعنى:

[1] ينظر: مجيد عبد الحميد ناجي الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط1، 1984، ص134،135.

وقبل أن نبدأ بالتحليل نضع للمتلقي المشهد التالي: ولما وصل إلى مدين، وكان مجهدا ومكدودا فحينئذ اطلع على مشهد لا تستريح له النفس ذات المروءة، والفطرة السليمة كنفس موسى الذي رأى جماعة كثيرة من الرجال ازدحموا على بئر ماء يسقون مواشيهم ورأى من دون هؤلاء امرأتين تمنعان أغنامهما عن الماء؛ لئلا تختلط بأغنام النّاس الآخرين وحتى يخلو لهما البئر ثم تسقيان غنمهما لضعفهما، وكان هذا حالهما في سائر الأيام ولكن هذا الفعل لم يعجب موسى عليه السلام، فكيف يستبعد النساء عن الماء لضعفهن، ويتقدم الرجال لقوتهم، فهمّ بمساعدتهم وهو صاحب الفطرة السليمة، فالبنتان حدث لهما كسر لأفق توقعهما فعلى غير العادة أن يأتي رجل يسقي لهما إنما ينتظرون حتى يسقي الرعاة مواشيهم، وهذا الكسر أحدث نشوة وانبهار لدى المتلقي، فالبنتان أحستا بالأمان وحسن خلق موسى عليه السلام، والمتلقي أيضا يشعر بذلك الكسر، فلا ينتظر من سيدنا موسى عليه السلام أن يسقي للبنيتين وهو مجهد من السفر، وهذا ما سيزيد هذه القصة جمالا لدى المتلقي. وعندما دعا الشيخ الكبير سيدنا موسى عليه السلام ليجزيه أجر السقي، والمعروف أنّ أجر السقي يكون بإعطاء مبلغ من المال أو هدية..، ولكن ما حدث كان غير المتوقع فقد كان أجر السقي أن أنكحه الشيخ الكبير إحدى بناته جزاء لمساعدته لهما، والمهر هو أن يستأجره ثماني حجج، كلها أحداث غريبه تجعل من المتلقي في كل مرة يغير أفق توقعه علّه يتوافق وهذه الأحداث ولكن سرعان ما يكسر ذلك الأفق تاركا في نفس المتلقي الأثر الجمالي.

المبحث الثاني: كسر أفق التوقع في أحداث مجابهة فرعون:

1- المشهد الاول: بعث موسى عليه السلام في الواد المقدس:

قال الله تعالى في سورة القصص:

﴿ لَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗاۖ قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ﴿29﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿30﴾ وَأَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ وَلَا تَخَفۡۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ ﴿31﴾ ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِۖ فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿32﴾ [سورة القصص 28 ـ 32].

قال الزمخشري في كتابه: "سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الأجلين قضى موسى؟ فقال: أبعدهما وابطأهما وروي أنه قال: قضى أوفاهما، وتزوج صغراهما. وهذا خلاف الرواية التي سبقت، و(من الشجرة) بدل قوله: من شاطئ الوادي، بدل الاشتمال؛ لأن الشجرة كانت نباتة على الشاطئ، وقد أتاه النداء من شاطئ الوادي من قبل الشجرة"[1] .

ومن جهة أخرى يقول ابن كثير: "من هنا شرع، تبارك وتعالى، في ذكر قصة موسى عليه السلام، وكيف كان ابتداء الوحي إليه وتكليمه إياه، وذلك بعد ما قضى عشر سنين ومعه زوجته، فأضل الطريق، وكانت ليلة شاتية، ونزل منزلا بين شعاب وجبال، في برد وشتاء، سحاب وظلام وضباب، وجعل يقدح بزند معه ليوري نارا، كما جرت له العادة به فجعل لا يقدح شيئا ولا يخرج منه شرر. فبينما هو كذلك، اذ آنس من جانب الطور نارا، أي ظهرت له نار من جانب الجبل الذي هناك عن يمينه، فقال لأهله يبشرهم {أنى ءانست نارا لعلي ءاتيكم منها بقبس} أي: شهاب من نار، وفي الآية الأخرى: {أو أجذو من النار} القصص29. وهي الجمر الذي معه لهب، {لعلككم تصطلون} القصص 29. دل على وجود البرد، وقوله {بقبس} دل على وجود الظلام. وقوله {او أجد على النار هدى} أي: من يهديني إلى الطريق آتكم بنار توقدون بها "[2]. في حين يفسر سيد قطب الآيات بقوله:" فها هو ذا

[1] الزمخشري، الكشاف ، ج4، ص498 .

[2] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص 1207.

موسى عليه السلام في الطريق بين مدين ومصر إلى جانب الطور ها هو ذا عائد بأهله بعد أن قضى فترة التعاقد بينه ،وبين نبي الله شعيب، على أن يزوجه إحدى ابنتيه في مقابل أن يخدمه ثماني سنوات أو عشرا (...) ولقد رأى موسى النار في الفلاة(..) ولقد ذهب يطلب قبسا من النار ويطلب هاديا في السري ولكنه وجد المفاجئة الكبرى إنها النار التي تدفئ لا الاجسام ولكن الأرواح "[1] .

وذكر الكلام نفسه عن حدث رؤية النار في سورة النمل الآية 7:

﴿**إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ**﴾ ولقد اعتمد ابن عاشور في تفسيره على الزجاج والزمخشري قائلا: "قال الزجاج والزمخشري وغيرهما: انتصب (إذ) بفعل مضمر تقديره: اذكر، أي أن (إذ) عن الظرفية مستعمل بمعنى مطلق الوقت، ونصبه على المفعول به، أي اذكر قصة زمن قال موسى لأهله، يعني أنه جار على طريقة (وإذ قال ربك للملائكة أنى جاعل في الأرض خليفة).

فالجملة استئناف ابتدائي. ومناسبة موقعها إفادة تنظير تلقي النبيء صلى الله عليه وسلم القرآن بتلقي موسى عليه السلام كلام الله إذ نودي (يا موسى انني إنا الله العزيز الحكيم). وذلك من بديع التخلص إلى ذكر قصص هؤلاء الأنباء عقب التنويه بالقرآن، وإنه من لدن حكيم عليم. والمعنى: أن الله يقص عليك من أنباء الرسل ما فيه مثل لك ولقومك وما يثبت به فؤادك.

وفي ذلك انتقال لنوع آخر من الإعجاز وهو الإخبار عن المغيبات وهو ما عددناه في الجهة الرابعة من جهات إعجاز القرآن في المقدمة العاشرة من المقدمات.

وجملة (قال موسى لأهله) إلى آخرها تمهيد لجملة (فلما جاءها نودي أن بورك من في الناراخ. وزمان قول موسى لأهله هذه المقالة هو وقت اجتلابه للمبادرة بالوحي إليه. فهذه القصة مثل ضربه الله لحال رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومه، ابتدئ بما تقدم رسالة موسى من الأحوال إدماجا للقصة في الموعظة.

[1] سيد قطب في ظلال القرآن، مج5، ص 2329.

لم تظهر النار إلا لموسى دون غيره من أهله لأنها لم تكن نارا معتادة لكنها من أنوار عالم الملكوت جلاه الله لموسى فلا يراه غيره. ومما يؤكد هذا الخبر أن زوجته ترددت في ظهور نار لأنها لم ترها.

الإيناع: الإحساس والشعور بأمر خفي، فيكون في المرئيات وفي الأصوات. والمراد بالخبر حيز المكان الذي تلوح منه النار. ولعله ظن أن هنالك بيتا يرجو استضافتهم إياه وأهله تلك الليلة، وإن لم يكن أهل بيت يستضيفون يأت منهم بجمرة نار ليوقد لأهله نارا من حطب الطريق للاستفاء بها. والشهاب؛ الجمر المشتعل، أن يؤخذ اشتعالها من نار أخرى ليشتعل بها حطب. والاصطلاح: الاستدفاء "[1].

1-1 كسر أفق التوقع على مستوى اللفظ:

﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾

استخدام كلمة "آنست" وهذه الكلمة توحي بوجود شعور مفاجئ بالراحة والأمان. واستخدام كلمة" نار" في نفس الآية فنجد تضاد شعور الراحة ، والأمان مع هذه الكلمة لأنها لا تحتوي على أي معنى يوحي بالراحة، مما يكسر أفق توقعنا فيجعلنا نطرح السؤال: كيف للنار أن تكون مؤنسة؟

حرف "أو" هو حرف عطف يفيد التخيير، حيث نصبح في انتظار معرفة ما سيختار موسى عليه السلام، خبرا أم شهابا، حيث أضاف للآية مزيدا من التشويق ويعطيها جمالية.

ولكن سرعان ما كسر أفق انتظار موسى عليه السلام والمتلقي، فلا هي شهاب ولاهي نار، بل هي نور من الله.

في هذه الآيات يوجد حذف في الآية 29 من سورة القصص فكلمة " الأجل " لدليل واضح على الحذف الموجود لسنين التي قضاها موسى في رعي غنم الشيخ الكبير الذي يمثل مهر لابنته التي تزوجها اتفق على 8 سنوات إذا أتم 10 لكان أفضل فجاءت الآية تقول (فلما قضى موسى الأجل) من دون أي تفصيل لما فعله في تلك السنوات، فهو حذف

[1] ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، ج 20، ص224_225.

واضح ومصرح به وهذا ما يحدث كسرا لدي المتلقي فهو كان يتوقع بأن يخبر بما حدث في العشر سنوات.

﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ﴾ ﴿إِنِّيَ أَنَا رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [سورة طه الآية11 ـ 12].

تحتوي هذه الآية {هل أتاك حديث موسى} على الاستفهام مستعمل التشويق إلى الخبر، "وهو استفهام للتمهيد وإعداد النفس والأذن لتلقي القصة وتمليها"[1]. وغرضه التشويق لمعرفة أحداث وتفاصيل القصة وكذا كسر أفق التوقع فعدل الجواب المباشر. هذا القول يطابق ما قاله تعالى: في الآية 29 من سورة القصص. مما يدل على وجود ظلام وأنهم أضاعوا الطريق.

وكذلك يوجد في هذه الآية التفات من الغائب إلى المخاطب حيث بدأ الله تعالى الحديث عن موسى عليه السلام بضمير الغائب {واذ قال موسى}، ثم انتقل إلى مخاطبة أهله بضمير المخاطب {سآتيكم منها بخبر}.

وقال تعالى في سورة القصص الآية 30.

﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾

ففي هذه الآية بدأ الله تعالى مخاطبة موسى عليه السلام بقوله " فلما أتاها "، ثم انتقل إلى الحديث عن النار، وحولها بضمير الغائب "من في نار ومن حولها ". وهو التفات من المخاطب إلى الغائب.

قال تعالى في سورة النمل: **﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ الآية 7.**

1-2 كسر أفق التوقع على مستوى المعنى:

تبدأ القصة بأن كان موسى عليه السلام في الطريق للعودة إلى مصر مع أهله وبينما هو كذلك كان يتوقع أن يجد بعض الحطب أو يجد أحدا يدله على الطريق أو يحصل على

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن، مج5، ص 3814.

دلالة لطريق فإذا به يرى نارا. كما ورد في الآية 10 من سورة طه. ' ﴿**إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى**﴾.

عندما اقترب موسى من النار، تفاجأ بأنّ النار ليست كما تبدو في الطبيعة ولا يوجد بها دفء والضوء ليهتدي به، بل يوجد من يتكلم، حيث كلّمه الله وهنا وقع الكسر الثاني كما يقول الله عزوجل في سورة طه الآية 11-12 ﴿**فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ**﴾ وكذلك نحن كمتلقين عند قراءة الآية نتوقع أنّ موسى عليه السلام سيذهب إلى النّار ليأتي بأخبارها أو بشعلة منها، ولكن كسر أفق توقعنا وفوجئنا بشكل كبير كون تلك النار لم تكن سوى نور من الله، وكذلك كسر أفق توقعنا للمرة الثانية حين ظننا أن موسى عليه السلام لن يتكلم مع الله مباشرة، ولكن تفاجئنا الآية بقوله تعالى **{فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}** القصص الآية30. كلها أحداث تصدم توقعات القارئ وتعاكسه وهذا ما يجعل من النص القرآني يتسم بالجمالية في كل زمان ومكان ولا يفقد بريقه.

ذكر الله قصة بعث موسى في الوادي المقدس لإتيان أهله بنار للاستدفاء في أكثر من سورة في القرآن: سورة الإسراء الآية (2 ـ 3)، سورة طه الآية (9 ـ 16) *(17 ـ 36) *(42 ـ 47)، سورة القصص الآية (45 ـ 46) *(29 ـ 35)، سورة الفرقان الآية (35 ـ 25)، سورة الشعراء الآية (12 ـ 16)، سورة النمل الآية (7 ـ 12)، سورة سجدة الآية (23 ـ 25)، سورة النازعات الآية (15 ـ 19).

2- المشهد الثاني: معجزة العصا واليد:

تتبع موسى عليه السلام النار التي رآها الى أن ووصل اليها عندها كلم الله موسى عليه السلام في الواد المقدس، وسأله عن العصا التي كانت بيمينه.

قال تعالى في سورة طه ﴿**وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ**﴾ ﴿**قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ**﴾ ﴿**قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ**﴾ ﴿**فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ**﴾ ﴿ **قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ** ﴾ **[سورة طه 17 -21]**

قال الزمخشري "معنى فوله تعالى {وأضمم إليك جناحك من الرهب}؟ قلت: فيه معنيان أحدهما: أنّ موسى عليه السلام لما قلب الله العصا حية: فزع واضطرب، فاتقاها بيده كما

يفعل الخائف من الشيء. فإذا ألقيتها تنقلب حية، فأدخل يدك تحت عضدك مكان اتقائك بها، ثم أخرجها بيضاء ليحصل الأمران: اجتناب ما هو غضاضة عليك، وإظهار معجزة أخرى. والمراد بالجناح اليد، لأن يدي الانسان بمنزلة جناحي الطائر. وإذا أدخل يده اليمنى تحت عضد يده اليسرى، فقد ضم جناحه إليه. والثاني: أن يراد بضم جناحه اليه: تجلده وضبطه نفسه. وتشدّده عند انقلاب العصا حية حتى لا يضطرب ولا يرهب، استعارة من فعل الطائر؛ لأنه إذا خاف نشر جناحيه وأرخاها. {من الرهب}: أي إذا أصابك الخوف عند رؤية الحية فأضمم إليك جناحك. ومعنى {وأضمم إليك جناحك} وقوله: {وأضمم يدك إلى جناحك} سورة طه الآية22.

خولف بين العبارتين، وكرّر المعنى الواحد لاختلاف الغرضين، فغرض أحداهما خروج اليد بيضاء والثاني: إخفاء الرهب، ومن بدع التفاسير الرهب: الكم "[1]. ويرى ابن كثير أنه:" بعدما أمره أن يلقي عصاه من يده; ليظهر له دليلا واضحا على أنه الفاعل المختار، القادر على كل شيء. فلما ألقى موسى تلك العصا من يده انقلبت في الحال حية عظيمة هائلة في غاية الكبر، وسرعة الحركة مع ذلك ; ولهذا قال : (فلما رآها تهتز كأنها جان) والجان: ضرب من الحيات، أسرعه حركة، وأكثره اضطرابا ـ وفي الحديث نهي عن قتل جنان البيوت ـ فلما عاين موسى ذلك (ولى مدبرا ولم يعقب) أي: لم يلتفت من شدة فرقه (يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون) أي: لا تخف مما ترى، فإني أريد أن أصطفيك رسولا وأجعلك نبيا وجيها. وقوله: (إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فإني غفور رحيم) هذا استثناء منقطع، وفيه بشارة عظيمة للبشر وذلك أن من كان على [عمل] شيء ثم أقلع عنه ورجع وتاب فإنّ الله يتوب عليه. وقوله: (وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء)، دليل باهر على قدرة الله الفاعل المختار، وصدق من جعل له معجزة، وذلك أن الله – تعالى – أمره أن يدخل يده في جيب درعه، فإذا أدخلها وأخرجها خرجت بيضاء ساطعة، كأنها قطعة قمر، لها لمعان يتلألأ كالبرق الخاطف"[2].

وورد عند سيد قطب " (قال: موسى هي عصاي، أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى) والسؤال لم يكن عن وظيفة العصا في يده. إنما كان عما في يمينه. ولكنه أدرك أن ليس عن ماهيتها يسأل، فهي واضحة، إنما عن وظيفتها معه فأجاب.. ذلك أقصى ما يعرفه موسى عن تلك العصا: أن يتوكأ عليها وأن يضرب بها أوراق الشجر لتتساقط فتأكلها الغنم، وكذلك يستخدمها لأغراض أخرى لم يعدّدها، ولكن ها هي ذي القدرة

[1] الزمخشري، الكشاف،ج4، ص 499_500.

[2] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج5، ص1391.

القادرة تصنع بتلك العصا في يده ما لم يخطر له على بال، تمهيدا لتكليفه بالمهمة الكبرى: (قال: ألقها يا موسى. فألقاها. فإذا هي حية تسعى..) ووقعت المعجزة (فإذا هي حية تسعى) فدهش لها موسى وخاف (قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى) أي نردها عصا. والسياق هنا لا يذكر ما ذكره في سورة أخرى أنه ولى مدبرا ولم يعقب. إنما يكتفي بالإشارة الخفيفة إلى ما نال موسى ـ عليه السلام ـ من خوف: ذلك أنه ظل أمن وطمأنينة فلا يشوبه بحركة الفزع والجري والتولي بعيدا. واطمأن موسى والتقط الحية، فإذا هي تعود سيرتها الاولى! عصا! ووقعت المعجزة في صورتها الأخرى. صورة سلب الحياة الأخرى. من الحي، فإذا هو جامد ميت، كما كان قبل أن تدركه المعجزة الأولى.. "[1].

2-1 كسر أفق التوقع على مستوى اللفظ:

في هذه الآيات، يتنقل الخطاب من مخاطبة موسى عليه السلام في قوله " يا موسى " إلى مخاطبة العصا في قوله " ألقها ".

قوله تعالى في سورة القصص:

﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ﴾ ﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ الآية 31 – 32.

في الآية (31) حذفت جملة فألقاها فانقلبت إلى حية، وذلك لدلالة السياق عليها ليترك للمتلقي ملئ هذا الفراغ بعد أن كان يتوقع أن الآية ستكون واضحة.

وقال تعالى في سورة النمل: الآية 9 ـ 12.

(يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾

في هذا المشهد يوجد احتباك "وهو أن يجتمع في الكلام متقابلان، فيحذف من كل واحد منهما مقابلة لدلالة الاخر عليه. ويعتبر الاحتباك وسيلة من وسائل كسر أفق التوقع إذ

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن، مج4، ص 2332.

الأصل أن يذكر كلا المتقابلين كل بما يخصه بلا حذف فقوله تعالى: ﴿**وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ**﴾ فالتقدير تدخل غير بيضاء وتخرج بيضاء فحذف من الأول غير بيضاء ومن الثاني وأخرجها "[1].

2-2 كسر أفق التوقع على مستوى المعنى:

إنّ معجزة اليد البيضاء هي إحدى المعجزات التي أعطيت للنبي موسى عليه السلام بعد أن كلمه الله في الواد المقدس، حيث أمره أن يدخل يده في جيب ثوبه، فعندما أخرجها كانت بيضاء للناظرين، فكان المتوقع أن تبقى اليد كما هي ولكن بقدرة الله تحولت يده إلى بيضاء.

وقال تعالى في سورة الأعراف: ﴿**فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ**﴾ ﴿**وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ**﴾ **[الآية107 ــ 108].**

عندما أمر الله موسى بإلقاء عصاه لم يكن موسى يتوقع أن تتحول إلى ثعبان حقيقي وهنا تظهر معجزة الله وقدرته. ففي البداية كانت العصا مجرد وسيلة يستخدمها موسى في قضاء حاجاته اليومية كالسيطرة على الغنم، وعندما أمر الله تعالى موسى بإلقائها، وتحولت إلى حية تسعى، كانت المفاجأة الأولى التي واجهها، وهنا حدث كسر لأفق التوقع لموسى وللمتلقي معا في نفس اللحظة فكيف لعصا أن تدب فيها الحياة، وتصبح حية تسعى، وما كان من موسى عليه السلام إلا أن خاف، وفزع منها فهو لم يشاهد هذا من قبل فهذا يفوق خياله وقدرته. قال تعالى: (قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى) سورة طه الآية 67.

وفي آية أخرى يطمئن الله تعالى موسى عليه السلام بعد خوفه ويقول: (قال خذها ولا تخف ستعيدها سيرتها الأولى) سورة طه الآية 21.

هذه الأحداث الثلاثة تظهر كيف تم كسر أفق التوقع في القصة، يبدأ بالمفاجأة غير المتوقعة يليها الخوف الإنساني الطبيعي، وينتهي بالاطمئنان، وهذا ما يجعل من المتلقي متفاعل مع الأحداث فهو في كل مرة يغير من أفقه عله يتطابق أفق النص القرآني، وككل مرة يكسر هذا الأفق لينبهر أكثر بقدرة الخالق عز وجل تاركة هذه الأحداث في نفس المتلقي

[1] أحمد سعد الخطيب، من أساليب القرآن الكريم في كسر أفق توقع ،ص 496_495 .

الأثر الجمالي. وفي الحقيقة أنّ كل هذه المشاهد تعمل على تعزيز الرسالة القوية حول الايمان بقدرة الله.

وردت قصة عصا موسى تحولها في سورة متعددة من القرآن الكريم: ففي سورة الاعراف صورت " كالثعبان"، وسورة طه صورت " كالحية"، وسورة القصص صورت " كالجان " فشبهة كالحية ،وذلك تصويرا لضخامتها ،وعن تشبيهها كالثعبان في الخفة والنشاط وأما لأنها تثير الرعب الخوف. فقد ساهم التكرار في تصوير، وإبراز أحوالها بوصفها شخصية غير بشرية تمثلت بشيء.

3- المشهد الثالث: مبارزة موسى والسحرة:

أمر الله_ سبحانه وتعالى_ موسى بالذهاب إلى فرعون لأنه طغى في الأرض وأكثر فيها الفساد فعندما ذهب إليه تجادلا ...

قال تعالى: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ﴾ ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنتَ مَكَانًا سُوًى﴾ ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضحى﴾ [سورة طه الآية 57-59].

قال الزمخشري: " {ما يفكون} ما يقلبونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم وكيدهم، ويزورونه فيخيلون في حبالهم أنها تسعى، روي أنهم قالوا إن يكن ما جاء به موسى سحرا فلن يغلب وان كان من عند الله فلن يخفى علينا، فلما قذف عصاه فتلقفت ما أتوا به، علموا أنه من الله فأمنوا. وعن عكرمة رضي الله عنه: أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء، وإنّما عبر عن الخرور بإلقاء لأنهم حين راو ما راو، لم يتملكوا أن رموا بأنفسهم إلى الأرض ساجدين (رب موسى وهارون) عطف بيان لرب العالمين، لأن فرعون لعنة الله عليه كان يدعى الربوبية "[1]. وفسر ذلك ابن كثير بقوله" يخبر تعالى أنه أوحى إلى عبده ورسوله موسى، في ذلك الموقف العظيم، الذي فرق الله تعالى فيه بين الحق والباطل، يأمر بأن يلقى ما في يمينه وهي عصاه{ فاذا هي تلقف } أي: تأكل {ما يفكون } أي: ما يلقونه ويهمون أنه حق، قال ابن عباس: فجعلت لا تمر بشيء من حبالهم وعصيهم إلا التهمته، فعرف السحرة أن هذا أمر من السماء وليس سحر، فخروا سجدا وقالوا {آمنا برب العالمين بموسى وهارون} ثم أخذ

[1] الزمخشري، الكشاف، ج4، ص 391_392.

موسى عصاه، فإذا هي عصا في يده كما كانت، فألقي السحرة عند ذلك سجدا، فما رفعوا رؤوسهم حتى رأو الجنة والنار وثواب أهلها"[1].

ومن جهة أخرى يرى ابن عاشور "عطف على فغلبوا "وانقلبوا"، فهو حيز فاء التعقيب، أي: حصل ذلك عقب تلقف العصا ما يفكون أي: بدون مهلة، وتعقيب، فسجدة السحرة متأخر عن مصيرهم صاغرين، ولكنه متأخر بزمن قليل، وهو زمن انفتاح الدليل على صدق موسى في نفوسهم، فإنهم كانوا أعلم الناس بالسحر فلا يخفى عليهم ما هو خارج عن الأعمال السحرية، ولذلك لما رأوا تلقف عصا موسى لحبالهم وعصيهم جزموا بأن ذلك خارج عن طوق الساحر، فعلموا أنه تأييد من الله لموسى وعلموا أن ما دعاهم إليه موسى حق، فلذلك سجدوا، وكان هذا خاصا بهم دون بقية الحاضرين، لذلك جيء بالاسم الظاهر دون الضمير لئلا يلتبس بالضمير الذي قبله الذي هو شامل للسحرة وغيرهم، بني فعل الالقاء للمجهول لظهور الفاعل؛ وهو أنفسهم، والتقدير: (وألقوا انفسهم على الأرض) والسجود هيئة خاصة حيث كان سجودهم لله الذي عرفوه حينئذ بظهور معجزة موسى ـ عليه السلام ـ"[2].

ويرى سيد قطب" وهكذا طلب فرعون إلى موسى تحديد موعد للمبادرة مع السحرة. وترك له اختيار ذلك الموعد: لتحدي: وشدد عليه في عدم إخلاف الموعد زيادة في التحدي، وأن يكون الموعد في مكان مفتوح مكشوف: «مكانا سوى» مبالغة في التحدي! قبل موسى ـ عليه السلام ـ تحدي فرعون ليختار الموعد يوم عيد من الأعياد الجامعة، يأخذ فيه الناس في مصر زينتهم، ويتجمعون في الميادين والأمكنة المكشوفة "قال موعدكم يوم الزينة" واختار الوقت المناسب لذلك. وانتهى المشهد الأول من مشاهدة اللقاء بين الإيمان والطغيان في الميدان"[3].

3ـ 1 كسر أفق التوقع على مستوى اللفظ:

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾

[1] ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص 776_777.

[2] ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 16، ص52.

[3] ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، مج5، ص2340.

حذفت جملتان دل السياق عليهما فالتقدير: فدبت فيها الحياة وانقلبت ثعبانا فإذا هي تلقف ما يزورونه، دل على الجملة الأولى بالإلقاء على الجملة الثانية بالتلقّف"[1]. وهذا الحذف يشكل كسر لأفق توقع المتلقي الذي كان يتوقع التصريح عن هذه الجمل.

3-2 كسر أفق التوقع على مستوى المعنى:

﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يفكون﴾ ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الشعراء 46 ـ 47].

ففي هذه الآية درس عظيم حول عظمة الله في تغيير الأقدار والأحداث بطريقة لا يمكن للعقل البشري توقعها حين تتدخل معجزات الله وقدرته في حدوثها. كان توقع الجميع بما فيهم السحرة أن تكون المنازلة بين السحرة، وليس بين السحرة ومعجزة الله، عندما ألقى السحرة حبالهم وعصيهم. وقوله تعالى في سورة الأعراف:﴿ **وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ**﴾ كان توقع الجميع، بما فيهم السحرة أن تكون المنازلة بين السحر والسحر، وليس بين السحر، ومعجزة إلاهية (عصا موسى) عندما ألقى السحرة حبالهم وعصيهم، سحروا أعين الناس فظنوا أنها تسعى كالثعابين، وهنا بدأ لهم توقعهم قد تحقق لكن الأمور انقلبت رأسا على عقب عندما ألقى موسى عصاه فتحولت إلى ثعبان حقيقي التهم كل ما صنع السحرة في تلك اللحظة، كسر أفق التوقع عند الجميع وظهر الحق وأعلن السحرة إيمانهم برب موسى وهارون. وهذا ما يجعل من المتلقي يشعر بحجم المسافة الجمالية بين ما كان يتوقعه وما حصل في الأحداث.

﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾ ﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

هذه الآيات تصف انقلابا كاملا لما كان يتوقع من موقف السحرة، حيث انقلبوا من محاولة اثبات أنّ موسى مجرد ساحر إلى إيمانهم بالله عز وجل، فنحن لم نتوقع إيمان السحرة بتلك السرعة رغم طغيانهم وجبروتهم.

[1] أقياس قيس عبد مصطفى العاني، النبي موسى عليه السلام في القرآن الكريم دراسة بلاغية فنية، رسالة ماجستير، حذام جمال الدين الألوسي، اللغة العربية، جامعة بغداد، 2005، ص45.

"لكنه على الرغم من كل ذلك يتوقع المتلقي فوز موسى استنادا إلى معية الله تعالى لرسوله، كما يتوقع أن يستمر السحرة على عنادهم، وألا يؤمنوا بموسى ولا يستسلموا له مهما كانت النتائج مثلما وقع أمر مع فرعون وملئه لأنهم لم يكونوا سحرة عاديين إذ بلغوا مستوى كبير من السحر أهلهم أن يتبنوا عرش السحر في مملكة فرعون، ولكن الذي حدث كان معاكسا لهذا التوقع ومختلفا اختلافا كليا، فآمن السحرة واستسلموا للحق ولم يرضخوا لتهديدات فرعون"[1].

تكرّرت قصة موسى عليه السلام مع قومه في الكثير من المواضع في القرآن الكريم حيث أنها في كل موضع ذكرت فيه، أفادت موعظة خاصة، وعبرة فريدة، اقتضاها السياق القرآني تختلف عما أفيد منها في موطن آخر.

[1] يادكار لطيف الشهرزوري، جماليات التلقي في السرد القرآني، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق سوريا، ط1، 2010، ص245.

المبحث الثالث: كسر أفق التوقع في دعوة بني إسرائيل

1ـ المشهد الأول: حادثة شق البحر

﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿61﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿62﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿63﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿64﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿65﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿66﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿67﴾ [سورة الشعراء 61-67]

يقول الزمخشري: "فلما تراءت الفئتان إنا المدركون بتشديد الدال وكسر الراء (قراءة) من ادَّرك الشيء إذا تتابع ففني ومنه قوله تعالى: وبَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ [النمل: 66]، قال الحسن: جهلوا علم الآخرة،

والمعنى: إنا لمتتابعون في الهلاك على أيديهم، حتى لا يبقى منا أحد. الفرق: الجزء المتفرّق منه وقرئ كل فلق والمعنى واحد والطود الجبل العظيم المنطاد في السماء وَأَزْلَفنَا ثَمَ حيث انفلق البحر الآخَرِينَ) قوم فرعون أي: قربناهم من بني إسرائيل: أو أدنينا بعضهم من بعض، وجمعناهم حتى لا ينجو منهم أحد، أو قدمناهم إلى البحر، وقرئ وأزلقنا بالقاف أي أزللنا أقدامهم والمعنى أذهبنا عزهم. ويحتمل أن يجعل الله طريقهم في البحر على خلاف ما جعله لبني إسرائيل يبساً فيزلقهم فيه عن عطاء بن السائب أن جبريل عليه السلام كان بين بني إسرائيل وبين آل فرعون ويحتمل أن يجعل الله طريقهم في البحر على خلاف ما جعله لبني إسرائيل يبسا فيزلقهم فيه، عن عطاء بن السائب أن جبريل عليه السلام كان بين بني إسرائيل وبين آل فرعون، فكان يقول لبني إسرائيل: ليلحق آخركم بأولكم ويستقبل القبط فيقول: رويدكم يلحق آخركم فلما انتهى موسى إلى البحر قال له مؤمن آل فرعون – وكان بين يدي موسى: أين أمرت فهذا البحر أمامك وقد غشيك آل فرعون؟ قال: أمرت بالبحر ولا يدري موسى ما يصنع فأوحى الله تعالى إليه: أن اضرب بعصاك البحر. فضربه فصار فيه اثنا عشر طريقاً: لكل سبط طريق. وروي أن يوشع قال: يا كليم الله، أين أمرت فقد غشينا فرعون والبحر أمامنا؟ قال موسى هاهنا. فخاض يوشع الماء وضرب موسى بعصاه البحر فدخلوا. وروي أن موسى قال عند ذلك يا من كان قبل كل شيء، والمكون لكل شيء.

والكائن بعد كل شيء. ويقال: هذا البحر هو بحر القلزم. وقيل: هو بحر من وراء مصر يقال له: أساف وإن في ذلك لأنه أية آية وآية لا توصف وقد عاينها الناس وشاع أمرها فيهم، وما تنبه عليها أكثرهم ولا آمن بالله وبنو إسرائيل: الذين كانوا أصحاب موسى المخصوصين بالانجاء قد سألوه بقرة يعبدونها واتخذوا العجل، وطلبوا رؤية الله جهرة وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ المنتقم من أعدائه (الرحيم) بأوليائه"[1].

1 -1 كسر أفق التوقع على مستوى اللفظ:

يوجد في هذه الآية التفات من المغيبة (فأوحينا) الي المخاطب (اضرب) وهذا الالتفات يشد انتباه المتلقي وينشط سمعه كما أنه أسلوب من أساليب الكسر أي كسر أفق التوقع.

في هذه الآية يوجد إيجاز بالحذف فتقدير الآية أن اضرب بعصاك البحر **فضرب** فانفلق، وهذا الحذف لم يكن يتوقعه المتلقي فيتحول من قارئ عادي مستهلك إلى قارئ منتج يبحث عن المسكوت عنه في النص القرآني ويتفاعل معه، كذلك تشتمل الآية الكريمة على صورة بيانية ألا وهي: تشبيه مرسل، وذلك في قوله تعالى (فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم)، فجاء التشبيه موضحا لنتيجة الضرب والأصل في التشبيه أن تكون أطرافه معلومة، ولكن هذا التوقع كسر، فلقد حذف وجه الشبه من الآية لكي يتفاعل المتلقي مع النص القرآني وينشط ذهنه للبحث عن المسكوت عنه تاركا في نفس المتلقي الأثر الجمالي.

1-2 كسر أفق التوقع على مستوى المعنى:

عندما وصل موسى عليه السلام إلى البحر، وكان فرعون من ورائه خاف بنو إسرائيل من كيد فرعون لهم إن أمسكم وكان البحر من أمامهم أي أنّ الاحتمالات كانت إما الغرق في البحر أو القتل على يد فرعون فلا يوجد حل ثالث لهم، ولكن ما حدث كان غير توقعات الجميع فلقد أمر الله تعالى موسى عليه السلام أن يضرب البحر بعصاه فانشق البحر بقدرةٍ من الله تعالى، فكسر هذا الحدث توقعات الجميع ما جعل بني إسرائيل يعيشون حالة من الانبهار والنشوة وزادهم إيمانا، وكذا نحن كمتلقين فلقد كسر أفق توقعنا في نفس الوقت ما جعلنا نغير من أفق توقعنا تماشيا مع أفق النص تاركا الأثر الجمالي في النفس وظهر في وسط البحر الطريق الذي على موسى وقومه أن يسيروا فيه، فكانت هذه إحدى معجزات

[1] الزمخشري، الكشاف، ج4، 395-396.

موسى عليه السلام الأخرى، فعندما مرّ موسى عليه السلام ومن معه من البحر وخرجوا منه، وعندما دخل فرعون وجنده إلى البحر بالكامل أمر الله تعالى البحر بأن ينطبق عليهم وعاد إلى حاله الأصلية، وهنا كسر أفق توقع فرعون وجنوده فكان ظنهم أنهم سينجون من البحر كما نجا موسى وقومه .

وردت قصة شق البحر في أربع مواضع من القرآن الكريم في سورة الدخان الآية من (22-29) وسورة طه الآية (77-79) وسورة الشعراء (57-67) وسورة البقرة (50).

2-المشهد الثاني: أمر الله بني إسرائيل على لسان موسى عليه السلام بدخول الأرض المقدسة:

قال تعالى ﴿**يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ**﴾**[سورة المائدة: 21]**.

يقول الزمخشري في معنى هذه الآية (الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ): يعني أرض بيت المقدس وقيل :الطور وما حوله، وقيل الشام، وقيل: فلسطين ودمشق وبعض الأردن، وقيل: سماها الله لإبراهيم ميراثا لولده حين رفع على جبل، فقيل له: انظر، فلك ما أدرك بصرك، وكان بيت المقدس قرار الأنبياء ومسكن المؤمنين، (كتب الله لكم) بمعنى قسمها لكم وخط في اللوح المحفوظ أنها لكم لا ترتدوا على أدباركم في دينكم بمخالفتكم أمر ربكم وعصيانكم نبيكم – فترجعوا خاسرين ثواب الدنيا والآخرة ". ومن جهة أخرى يرى ابن عاشور يقول ابن عاشور: "هو الغرض من الخطاب، فهو كالمقصد بعد المقدمة، ولذلك كرر اللفظ الذي ابتدأ به مقالته وهو النداء بـ (يا قوم) لزيادة استحضار أذهانهم. والأمر بالدخول أمر بالسعي في أسبابه، أي تهيأوا للدخول. والأرض المقدسة بمعنى المطهرة المباركة، أي التي بارك الله فيها، أو لأنها قدست بدفن ابراهيم ـ عليه السلام ـ في أول قرية من قراها وهي حريون. وهي هنا أرض كنعان من برية (صين) الى مدخل (حماة والى حبرون). وهذه الارض هي أرض فلسطين، وهي الواقعة بين البحر الابيض المتوسط وبين نهر الأردن والبحر الميت فتنتهي الى (حماة) شمالا والى (غزة وحبرون) جنوبا. وفي وصفها ب (التي كتب الله) تحريص على الأقدام لدخولها. ومعنى (كتب الله) قضى وقدر، وليس ثمة كتابة ولكنه تعبير مجازي شائع

في اللغة لأن الشيء إذا أكده الملتزم به كتبه. ومعنى قوله (لا ترتدوا على أدباركم) تحذير مما يوجب الانهزام، لأن ارتداد الجيش على الأعقاب من أكبر أسباب الانخذال والارتداد افتعال من الرد، يقال رد فارتدا والرد: إرجاع السائر عن الإمضاء في سيره وإعادته الى المكان الذي سار منه والأدبار جمع دبر، وهو المظهر. والانقلاب: الرجوع، والمراد به هنا مطلق المصير"[1].

2-1 كسر أفق التوقع على مستوى اللفظ:

توضح هذه الآية دعوة موسى عليه السلام قومه الى نعمة جديدة ، وهي أن يخرجوا من الصحراء، وأن ينقلبوا من حياة الرعي والخيام الى حياة المدينة والاستقرار ...فدعا موسى قومه استجابة لوعد الله ولكنهم لم يتقبلوا دعوة موسى _عليه السلام _ويعرف موسى طبيعة قومه، وما تنطوي عليه نفوسهم من خبث وفساد، لذلك حذرهم (ولا ترتدوا على أدباركم خاسرين) أي : فتنقلبوا خاسرين لثواب الدارين، مصورا لهم الفتور عن الطاعة بما يستحي من له همة من ذكره (ولا ترتدوا على أدباركم) كنى عن التولي والاعراض عن الهدى والرشد والحق بالأدبار.

جمع التعبير القرآني بين الأمر والنهي خوفهم عواقب العصيان، معلما بأن ارتدادهم سبب لهلاكهم بغير شك، فالتعبير الكنائية استطاع أن يصور لنا المعنى تصويرا صادقا محسوسا[2].

بدأت الآية بخطاب مباشر " يا قوم " وتحتوي هذه الآية على تصوير بلاغي ألا وهي:

- الكناية: وهي من أكثر الاساليب دقة في اخفاء المعنى الصريح، مما يتوجب على المتلقي ان يغوص في المعنى ليفهم لأنها مزيج بين الحقيقة والمجاز. (ترتدوا على أدباركم) تعد كناية عن أمر مهم والتخلي عن فرصة قيمة.

كما تحتوي على أساليب لغوية وهي:

---

[1] ابن عاشور، تفسير تحرير والتنوير، ج7 ،162 -163.

[2] ينظر: أقياس قيس عبد مصطفى العاني، النبي موسى عليه السلام في القرآن الكريم دراسة بلاغية فنية، ص121-122.

– الأمر: استخدام صيغة الأمر " ادخلوا"، وهنا خرج الامر عن غرضه الأصلي كونه تكليفا ولكن كان الدخول سيعلي من مقامهم ويزيدهم شرفا ففيها حكم الله وقضى أن يقوم المسلمون من قوم موسى بمناجزة أعداء الله العمالقة الوثنيين الذين استولوا على الأرض المقدسة أرض فلسطين.

– النهي: استخدام النهي في (ولا ترتدوا على أدباركم) يحذرهم من عواقب الرفض وعدم الطاعة لأمر الله. جاء النهي هنا بأسلوب وعضي ارشادي بعيدا عن التسلط والتجبر.

– الألفاظ والعبارات في الآيات التالية (الآية 21 و22 من سورة المائدة) توحي يتحقق الوعد ودخولهم للأرض المقدسة، فيأتي كسر لتوقعاتنا بظهور التيه كنهاية لرحلتهم.

– تكرار وعود النصر والدخول إلى الأرض المقدسة، التي قد يتلقاها القارئ في مختلف النصوص الدينية، تعطي له توقعا بأنّهم سيدخلون الأرض المقدسة، ولكن يكسر افق التوقع في النهاية حيث تأتي الألفاظ لتوحي بالحرمان والتيه في الصحراء.

2-2 كسر أفق التوقع على مستوى المعنى:

في قصة دخول موسى عليه السلام الأرض المقدسة، كسر لأفق التوقع يمكن أن يظهر من خلال الاعتقاد السائد لدى بنى اسرائيل وربما القارئ أو المتلقي أن موسى، بصفته نبي الذي أخرجهم من مصر سيقودهم للأرض المقدسة لكن الأحداث تسير عكس ذلك وتتحول إلى نهاية غير متوقعة إذ يحرم النبي وقومه من دخول تلك الأرض.

– توقعنا أن يستحق بنى اسرائيل وموسى دخولا للأرض المقدسة بسبب أفعالهم وتحملهم الصعوبات، والواقع يظهر إرادة الله وحكمته.

يكمن الكسر في الدرس المستخلص من القصة، حيث يقترب النبي موسى عليه السلام من تحقيق الهدف الذي طال انتظاره ولكنه لا يكمل الرحلة بنفسه، وهذا يقدم درسا عظيما في ارادة الله وحكمته في الكون.

3-المشهد الثالث: موسى عليه السلام والبقرة

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿67﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿68﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿69﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿70﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿71﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿72﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 67 – 73].

قال الزمخشري: "كان في بني إسرائيل شيخ، موسر فقتله بنو أخيه ليرثوه وطرحوه على باب مدينة ثم جاءوا يطالبون بديته فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيا فيخبرهم بقاتله، **قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا**: أتجعلنا مكان هزؤ، أو أهل هزؤ، أو مهزواً بنا، أو الهزؤ نفسه؛ لفرط الاستهزاء، **مِنَ الْجَاهِلِينَ** لأن الهزؤ في مثل هذا من باب الجهل والسفه، وقرئ: «هزوا» بضمتين والهزء بسكون الزاي نحو كفوا وكفوا، وقرأ حفص: هزوا بالضمتين والواو، وكذلك «كفواً»، والعياذ واللياذ من واد واحد"[1]. وورد في تفسير ابن كثير "فأقبل القاتل على موسى عليه السلام، فقال له : أنت نبي الله فاسأل لنا ربك أن يبين لنا، فسأل ربه فأوحى الله إليه : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً**﴾ فعجبوا من ذلك، فقالوا: ﴿**أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾ ﴿**قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ**) يعني: لا رمة ولا يكر يعني ولا صغيرة﴾ أي : نصف بين البكر والهرمة ﴿**قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا**﴾ أي : صاف لونها **تَسُرُّ النَّاظِرِينَ**) أي : تعجب الناظرين ﴿**قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿70﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ**﴾ يعني : وليست بذلول تثير الأرض (**وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ**) يقول: لا بياض فيها ﴿**قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ**﴾ قال : ولو أن القوم حين أمروا أن يذبحوا بقرة،

[1] الزمخشري، الكشاف، ج1، ص278.

استعرضوا بقرة من البقر فذبحوها، لكانت إياها، ولكنهم شددوا على أنفسهم فشدد عليهم، ولولا أن القوم استثنوا فقالوا : ﴿وَإِنَّا إِن شَاءَ اللهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾ لما هدوا إليها أبدا"[1].

في حين يرى سيد قطب: "لقد قال لهم نبيهم **﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾** وكان هذا القول بهذه الصيغة يكفي للاستجابة والتنفيذ فنبيهم هو زعيمهم الذي أنقذهم من العذاب المهين برحمة من الله ورعاية وتعليم وهو ينبئهم أن هذا ليس أمره، وإنما هو أمر الله الذي يسير بهم على هداه فماذا كان الجواب؟ لقد كان جوابهم سفاهة وسوء أدب واتهاما لنبيهم الكريم بأنه يهزأ بهم ويسخر منهم .... وكان رد موسى على هذه السفاهة أن يستعيذ بالله ،وأن يردهم برفق وعن طريق التعريض والتلميح إلى جادة الأدب الواجب في جانب الخالق جل علاه وأن يبين لهم أن ما ظنوه به. لا يليق إلا بجاهل بقدر الله لا يعرف ذلك الأدب ولا يتوخاه"[2].

3-1 كسر افق التوقع على مستوى اللفظ:

والملاحظ في هذه الآيات يوجد التفات من الغيبة **﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾** إلى المخاطب **﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا﴾**.

وذلك لجذب انتباه القارئ وتنشيط السامع، وفي الوقت ذاته يكسر أفق توقعه فهو لم يكن يتوقع تغيير أسلوب الخطاب، وهذا ما يظهر المسافة الواسعة بين أفق توقع القارئ وبين أفق توقع النص وتسمى بالمسافة الجمالية لأنها تترك في نفس المتلقي الأثر الجمالي.

"وفي قوله تعالى:**﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾** حذف جملتين تقديرهما (فضربوه فجيء) إنما حذفتا اختصارا، لأن قوله تعالى :**(كَذَلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَى)** يستلزمها ويستدعيها فهما معلومتان بالضرورة"[3]. ومنه فالحذف هنا يجعل المتلقي يتفاعل مع النص القرآني بتأويلاته ويبحث عما سكت عنه، كما أنه يكسر أفق توقعه فهو كان ينتظر الإفصاح عن هاتين الجملتين فإذ بهما حذفتا.

---

[1] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص145.

[2] سيد قطب، في ظلال القرآن مج 1، 78.77.

[3] أقياس قيس عبد مصطفى العاني، النبي موسى عليه السلام في القرآن الكريم دراسة بلاغية فنية، ص44.

3- 2 كسر أفق التوقع على مستوى المعنى

ويتمثل الكسر على مستوى المعنى في هذا المشهد في طلب موسى بقتل البقرة وضرب الرجل الميت ببعض أجزائها فما علاقة البقرة بالرجل الميت؟ شكل هذا المشهد المفاجئة لبني إسرائيل واتهموا موسى عليه السلام بأنه يستهزئ بهم، وهذا وإن دل على شيء فهو يدل على أنهم لم يتوقعوا من موسى عليه السلام أن يأمرهم بذبح البقرة لمعرفة القاتل فقد حصل لهم كسر لأفق توقعهم، والمفاجئة كانت لبني إسرائيل في أنّ الرجل أحياه الله تعالى، وأخبر عن قاتله ثم عاد ميتا كما كان، هذه الحادثة العجيبة الغريبة لم يكن يتوقع بنو إسرائيل أن هذا الأمر سيحدث ولكن المتلقي لهذه الآيات يحدث له كسر في الأول فقط عندما يأمر موسى قومه بذبح البقرة، وبإيماننا بالله سبحانه وتعالى فنحن على يقين بأن الرجل سيستيقظ وأنه سيفصح عن القاتل، ورغم وقوع الحادثة أمام أعينهم فلم يزدهم ذلك إلا كفرا وجحودا.

يحتوي هذا المشهد تقنية الاسترجاع، فالقصة تصل إلى الذبح وتظن أنها النهاية، وإذا بالأحداث تفاجئنا بالبداية، وهي القتل **(فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)**. وهذا الاسترجاع يكسر أفق توقع القارئ فلم يكن يتوقع ذلك.

"وعندما يسمع المتلقي بكلمة البقرة، ويقرأها في سياق قصة موسى مع بني إسرائيل في سورة البقرة، فإنه يتوقع أن تكون البقرة شخصية من شخصيات القصة، شأنها شأن الهدهد أو الكلب في قصة أصحاب الكهف وبعد الدخول في أجواء القصة وأمر موسى قومه القيام بالذبح يتغير توقعه الأول فيظن أن الأمر يتعلق بالقربان لله تعالى فقبل الوصول إلى قوله فقلنا اضربوه ببعضها كانت كل التوقعات تشير إلى أمر ذبح مرهون بالقربان ...فإذا به في النهاية يخالف هذا الاستعداد الذهني"[1].

[1] يا دكار لطيف الشهرزوري، جماليات التلقي في السرد القرآني، ص249.

المبحث الرابع: كسر أفق التوقع في الرحلة مع العبد الصالح

-المشهد: موسى عليه السلام مع العبد الصالح الخضر:

ذكرت هذه القصة في سورة الكهف ولم تذكر في أي موضع آخر من القرآن الكريم.

﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿61﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿62﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿63﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿64﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿65﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿66﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿67﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿68﴾ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿69﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿70﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿71﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿72﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿73﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿74﴾ ۞قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿75﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿76﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿77﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿78﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿79﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿80﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿81﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿82﴾ [سورة الكهف من 60 ـ 82].

قال الزمخشري:"﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿74﴾

فانطلقا: على الساحل البحر يطلبان السفينة فلما ركبا قال أهلها هما من اللصوص وأمروهما بالخروج فقال صاحب السفينة أرى وجوه الأنبياء وقيل عرفوا الخضر فحملوها بغير نول فلما لجّوا أخذ الخضر الفأس فخرق السفينة بأن قلع لوحين مما يلي الماء فجعل موسى يسد الخرق بثيابه.

(فَانْطَلَقَا) حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿74﴾

(فقتله): قيل كان قتله فتل عنقه وقيل ضرب برأسه الحائط وعن سعيد بن جبير أضجعته ثم ذبحه بالسكين

﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ﴿77﴾

أهل قرية) هي أنطاكية وقيل: الأبله، وهي أبعد أرض الله في السماء أن يضيفوهما وقرئ يضيفوهما ...يريد أن ينقض استعيرت الإرادة للمداناة والمشاركة كما استعير الهم والعزم

لذلك ...فأقامه قيل أقامه بيده وقيل مسحه بيده فقام واستوى وبناه وقيل كان طول الجدار في السماء مائة ذراع كانت الحال حال اضطرار وافتقار الى المطعم وقد لزتهما الحاجة الى اخر كسب المرء وهو المسألة فلم يجدا مواسيا فلما أقاما الجدار لم يتمالك موسى لما رأى من الحرمان ومساس الحاجة"[1]. ومن جهة أخرى يرى ابن كثير "يقول تعالى مخبراً عن موسى وصاحبه، وهو الخضر، أنهما انطلقا لما توافقا واصطحبا، واشترط عليه ألا يسأله عن شيء أنكره حتى يكون هو الذي يبتدئه من تلقاء نفسه بشرحه وبيانه، فركبا في السفينة. وقد تقدم في الحديث كيف ركبا في السفينة، وأنهم عرفوا الخضر، فحملوهما بغير نول – يعني بغير أجرة – تكرمة للخضر. فلما استقلت بهم السفينة في البحر، ولججت، أي: دخلت اللجة، قام الخضر فخرقها، واستخرج لوحاً من ألواحها، ثم رقعها. فلم يملك موسى عليه السلام، نفسه أن قال منكراً عليه: وأغرقتها لتفرق أهلها. وهذه اللام لام العاقبة لا لام

[1] الزمخشري، الكشاف، ج 3، ص601-605.

التعليل، ولَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إمرا قَالَ أي موسى: لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرهِقنِي مِنْ أمري عُسْرًا.

أي: لا تضيق على وتُشدد عليّ؛ ولهذا تقدم في الحديث عن رسول الله أنه قال: كانت الأولى من موسى نسياناً». اعلان على إنا ليا ماما ظلم قال لقتلت نفسا ركنية يغير نفيس لقد حلت عينا شكرا له قال أثر أهل الله الله لن تستطيع من صبرا قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِي عُذرا(يقول تعالى: انطلقا) أي: بعد ذلك، ومن إذا لقيا لما تقتله. وقد تقدم أنه كان يلعب مع الغلمان في قرية من القرى، وأنه عمد إليه من بينهم، وكان أحسنهم وأجملهم وأوضأهم، فقتله، فروي أنه احتز رأسه، وقيل: رضخه بحجر. وفي رواية: اقتطفه بيده. والله أعلم. فلما شاهد موسى عليه السلام هذا أنكره أشد من الأول، وبادر فقال: أَقَتَلتَ نَفْسًا زَكِيَّة(أي: صغيرة لم تعمل الحنث، ولا حملت إثماً بعد، فقتلته؟ او بغيرِ نَفْسٍ) أي: بغير مستند لقتله لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا) أي: ظاهر النكارة. قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ معي صَبْرًا) فأكد أيضاً في التذكار بالشرط الأول، فلهذا قال له موسى: ﴿وَإِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا أي: إن اعترضت عليك بشيء بعد هذه المرة ﴿فَلَا تُصَحِبنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِي عُذرا) أي: قد أعذرت إلى مرة بعد مرة ...

يقول تعالى مخبراً عنهما: إنهما انطلقا بعد المرتين الأوليين حَتَّى إِذَا أَتَيا أَهْلَ قَرية روى ابن جرير، عن ابن سيرين أنها الأيلة، وفي الحديث: «حتى إذا أنها أهل قرية التاماً أي: بخلا موء ناتوا أن يعيقوهُما قومنا فيها جدارًا يُريد أن ينقض إستاد الإرادة ههنا إلى الجدار على سبيل الاستعارة، فإن الإرادة في المحدثات بمعنى الميل والانقضاض هو: السقوط. وقوله: (فأقامه أي: فرده إلى حالة الاستقامة، وقد تقدم في الحديث أنه ردّه بيديه ودعمه حتى ردّ ميله وهذا خارق، فعند ذلك قال موسى له: ولو ملت اتخذت عليه أجراه أي لأجل أنهم لم يضيفونا كان ينبغي الا تعمل لهم مجانا وقال هذا يراني بيني وبين) أي: لأنك شرطت عند قتل الغلام أنك إن سألتني عن شيء بعدها فلا تصاحبني، فهو فراق بيني وبينك، وسَأُنَبِئُكَ بِتَأْوِيلِ) أي: بتفسير مَا لَمْ تَسْتَطِعِ عَلَيْهِ صَبْرًا"[1]. في حين يفسر سيد قطب : "**فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها**» ... سفينة تحملهما وتحمل معهما ركاباً، وهم في وسط اللجة؛ ثم يجيء هذا العبد الصالح فيخرق السفينة! إن ظاهر الأمر هنا أن هذه

[1] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص 1167.

الفعلة تعرض السفينة وركابها لخطر الغرق وتؤدي بهم إلى هذا الشر، فلماذا يقدم الرجل على هذا الشر؟

فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله..

وإذا كانت الأولى خرق السفينة واحتمال غرق من فيها فهذه قتل نفس. قتل عمد لا مجرد احتمال. وهي فظيعة كبيرة لم يستطع موسى أن يصبر عليها على الرغم من تذكره لوعده فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ﴿77﴾

إنهما جائعان وهما في قرية أهلها بخلاء لا يطعمون جائعا ولا يستضيفون ضيفا ثم يجد جدارا مائلا يهم ان ينقض والتعبير يخلع على الجدار حياة وإرادة كالأحياء فيقول يريد ان ينقض فاذا الرجل الغريب يشغل نفسه بإقامة الجدار دون المقابل وهنا يشعر موسى بالتناقض في الموقف ما الذي يدفع هذا الرجل ان يجهد نفسه ويقم جدارا يهم بالانقضاض في قرية لم يقدم لهما أهلها الطعام وهما جائعان"[1].

عندما أخبر موسى عليه السلام العبد الصالح أنه يريد مصاحبته قال له: ﴿**قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿67﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿68﴾**

ولكن موسى عليه السلام أصر على أنه سيكون بمشيئة الله صابرا وأجاب الخضر بقوله ﴿**قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿70﴾** وهكذا تم الاتفاق.

اندرجت تحت قصة موسى مع الخضر ثلاث قصص ألا وهي:

1- قصة السفينة
2- قصة الغلام
3- قصة الجدار

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن، مج4، ص2279.

أولا: قصة السفينة

قال تعالى في سورة الكهف: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴿71﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿72﴾

بدأ المسير على ساحل البحر فمرت بهما سفينة فركبا فيها وبدون أجر، وإذ بالعبد الصالح وبلا سبب ظاهر يقتلع أحد ألواحها ثم رقعها، الأمر الذي تفاجئ منه موسى فكسر أفق توقعه فكيف لعبد صالح أن يخرق سفينة قد منّ أهلها عليه بأن لم يطلبوا منه أجرا فهل ترد الحسنة بالسيئة أم ماذا؟ وهذا ما أثار اعتراض موسى عليه السلام فلم يسكت (قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿71﴾

فقال له الخضر وهو يذكره بما قد قاله منذ البداية ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿72﴾

قال تعالى في سورة الكهف:﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴿71﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿72﴾
بدأ المسير على ساحل البحر فمرت بهما سفينة فركبا فيها وبدون أجر، وإذ بالعبد الصالح وبلا سبب ظاهر يقتلع أحد ألواحها ثم رقعها، الأمر الذي تفاجئ منه موسى فكسر أفق توقعه فكيف لعبد صالح أن يخرق سفينة قد منّ أهلها عليه بأن لم يطلبوا منه أجرا فهل ترد الحسنة بالسيئة أم ماذا؟ وهذا ما أثار اعتراض موسى عليه السلام فلم يسكت (قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿71﴾

فقال له الخضر وهو يذكره بما قد قاله منذ البداية (قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿72﴾

ونحن كمتلقين لهذه القصة نلاحظ تناقض بين لفظتين عبد صالح وخرق السفينة

هذا التناقض الذي يثير فينا كثير التساؤلات بعد أن كنا نتوقع من العبد الصالح أفعال أخرى تدل على أنه عبد صالح ظاهريا، ولكن ما يخفيه علينا العبد الصالح يجعلنا نبني أفق جديد بمعايير جديدة..

ثانيا: قصة الغلام

فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿74﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿75﴾

ولما غادرا السفينة تابعا المسير فوجدا غلمانا وفتيانا يلعبون فأخذ الخضر واحدا منهم وقتله، وهذا ما فاجئ موسى عليه السلام وكسر أفق توقعه مرة ثانية، فلماذا يقتل نفسا بريئة بغير حق وهو عبد صالح، وهذا ما يزيد القصة تشويقا لدى القارئ الذي كسر أفق توقعه هو أيضا فهو يعيش الاحداث مع موسى عليه السلام، ويزيد من الفجوة بين ما يفعله الخضر وما يتوقعه موسى عليه السلام والمتلقي تاركا الاندهاش والانبهار في النفوس. والاستفزاز فموسى عليه السلام لم يطق الامر وقال له **قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿74﴾** وكما في المرة السابقة يجيب الخضر ﴿ **قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿75﴾** قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴿76﴾

ثالثا: قصة الجدار

﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴿77﴾

والقصة الثالثة هو عندما وصلا الى قرية طلبوا منهم الطعام ولكنهم رفضوا ذلك وبينما هما يسيران في المدينة وجد الخضر جدارا مائلا فبناه بدون مقابل، وككل مرة يفعل الخضر شي يثير الدهشة والتساؤل ويكسر الاستعداد الذهني الذي بناه موسى عليه السلام والمتلقي من جديد، وتظهر الفجوة من جديد بين ما يفعله الخضر وبين توقعات موسى عليه السلام والمتلقي، فكيف لقرية رفضت اطعامهما ويبنى لهم جدار مائل وبدون مقابل، فقال موسى عليه السلام للخضر ﴿ **قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿77﴾** قال له الخضر ﴿ **قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴿78﴾**

1-1 كسر أفق التوقع على مستوى اللفظ:

ونلاحظ في هذه الآية أن الاستفهام خرج عن غرضه الأصلي وورد بمعنى الانكار[1]. فموسى قال مستنكرا موبخا الخضر على خرق السفينة الذي يؤدي إلى الهلاك لقد فعلت أمرا منكرا عظيما **(قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿71﴾** وفي الحقيقة أن المتلقي لم يكن يتوقع مجيء الاستفهام بهذه الطريقة الجديدة، وبما أن الاحداث غريبة ولم تحدث من قبل فغير الاستفهام شكله ليبهر المتلقي ويكسر أفق توقعه.

كما نلاحظ في القصص الثلاثة أسلوب الالتفات واضح وذلك ليجذب القارئ عن طريق كسر أفق توقعه عن طريق الالتفات.

التفت من الغيبة **(فَانْطَلَقَا)** إلى المخاطب **(لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا)**.

التفت من الغيبة **(فَانْطَلَقَا)** إلى المخاطب **(أَقَتَلْتَ نَفْسًا)**.

التفت من الغيبة **(فَانْطَلَقَا)** إلى المخاطب **(لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿77﴾)**.

كذلك التناقض على مستوى الالفاظ يكسر أفق توقع المتلقي كما في القصة

العبد الصالح ≠ خرق السفينة + قتل الغلام

1 ـ 2 كسر أفق التوقع على مستوى المعنى:

"قد تأتي المفاجآت مركبة أو خيبات التوقع مركبة داخل مسارات السرد القرآني بمعنى أن وعي المتلقي يندمج بوعي الشخصيات فيشتركان في عملية الاندهاش، وهذا الوعي يجعل المتلقي يعيش الاحداث مع الشخصيات ففي قصة موسى مع العبد الصالح يهيئ النص للمتلقي لحدوث مفاجآت عبر الاشتراط الذي اشترطه العبد الصالح لمصاحبة موسى، يهيئ هذا الاشتراط ذهن الشخصية وذهن المتلقي لوقوع أحداث غريبة لكنهما يتصادمان بما هو أغرب مما توقعاه، لذلك يندهش موسى فلا يستطيع منع نفسه من الكلام ويستفز المتلقي وهو ينظر إلى الأحداث الغريبة"[2].

---

[1] ينظر: عبد الكريم محمود يوسف، أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم، مكتبة لسان العرب، دمشق، ط1، 2000، ص17.

[2] يادكار لطيف الشهرزوري، جماليات التلقي في السرد القرآني، ص255.

"فمرة يكتم سر المفاجأة عن البطل وعن النظارة حتى يكشف لهما معا في آن واحد مثال ذلك في قصة موسى مع العبد الصالح العالم"[1].

والشاهد من هذا القول إن قصة موسى مع العبد الصالح في الحقيقة تحتوي على ثلاث أسرار، والتي لم يخبر بها موسى عليه السلام من قبل فكان قد تلقى الصدمة مثله مثل المشاهد للقصة، وهذا من التقنيات الفنية التي يستعملها القرآن الكريم في عرض الأحداث.

وخلاصة هذا الفصل أن قصة موسى عليه السلام نموذج حي لتعدد القراءات، وذلك ما يكشف عنه هانز روبرت ياوس في المفاهيم التي جاء بها وأبرزها كسر أفق التوقع الذي اتخذناه كدراسة في الجانب التطبيقي الموسومة **بـ: "تمثلات كسر أفق التوقع في قصة موسى عليه السلام من القرآن الكريم"**، عن طريق توظيف أساليب عديدة ومتنوعة التقت على تحقيقها ألفاظه ومعانيه لتكتمل عملية النظم القرآني، فلقد أشاد البلاغيون بـ:علم البيان وعلم البديع وعلم المعاني وأثره في نفس المتلقي، فكان في توظيف الألفاظ بعدولها عن المألوف ما يجذب المتلقي، ويحقق له المتعة ويعزز التفاعل مع النص القرآني من خلال تقصي المعاني المتعددة، كما كان للأحداث وطريقة عرضها الحظ الوفير في كسر أفق توقع الجمهور، لما تحمله بعض المشاهد من معجزات إلاهية وأخرى هي أقرب للنوادر أو المستحيلة الوقوع، مما أضفى على القصة الصبغة الجمالية محدثة في المتلقي الدهشة والانبهار، ورفع مستوى التشويق لديه، فيظل هذا الأخير مشدود لهذه القصة متفاعلا معها في كل مرة يكسر فيها أفق توقعه إلى أن يحدث الانصهار بين الأفقين أفق النص القرآني وأفق القارئ.

راجين الله أن نكون قد وفقنا في الوقوف على هذه الأحداث التي ربطت بين الجانب الروحي الإيماني والفني الجمالي.

[1] سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص183.

خاتـمـة

بعد هذه الدراسة التي انطلقنا فيها بإضاءات نظرية تتعلق بالتلقي والقصص القرآني وقفنا فيها على جملة مفاهيم ومصطلحات وأصول نظنّ أنه من الضروريّ الإشارة إليها ابتداء لنمضي نحو الإجراءات العملية المتمثلة في مقاربة كسر أفق التوقع في قصة موسى عليه السلام من القرآن الكريم وتمثلاته على مستوى الألفاظ والمعاني من خلال مشاهد سردية راعينا في تتابعها الخط الزمني قدر الإمكان، واكتفينا بنماذج معينة حسبما تسمح به مساحة البحث، نكون قد خلصنا إلى جملة من النتائج نوجزها فيما يلي:

- ✓ يحمل النّص القرآني الكثير من المشاهد التي تحمل في مضامينها دلالات عديدة تاركة الأثر الجمالي في نفس المتلقي، وخاصّة قصّة موسى عليه السلام التي ذكرت في سور عديدة حيث تعد نموذجا حيّا تظهر مدى أهمّية نظريّة التلقي، من خلال تقصّى المعاني المتعددة لما تحمله من معجزات في معظم مشاهدها وأبعادها الجمالية.
- ✓ إنّ النّص القرآني يمتلك من المرونة والانفتاح ما يجعله يستجيب للمستحدث من المقاربات الجمالية والمناهج النقدية المختلفة، ومنها مقاربات جماليات التلقي.
- ✓ قصة النّبي موسى عليه السلام دروس قيمة تعكس أهمية الصبر والتسليم بأقدار الله كان لآلية كسر أفق التوقع دور هام في إبرازها وترسيخها ودفعها إلى الحضور في النفوس.
- ✓ قوة إيمان النبي موسى عليه السلام وصبره على الأقدار الإلهية، حتى عندما تحطمت توقعاته بما هو ظاهر للعين.
- ✓ إنّ كسر أفق التوقع في القصص القرآني يفتح أمامنا أبواب التفكير والتدبر في حكمة الله وعدالته ويحقق التفاعل الذهني والنفسي عند المتلقي.
- ✓ لقد رصد البحث آلية كسر أفق التوقع في قصة موسى عليه السلام وظهر بشكل جلي وواضح بواسطة تقنية الالتفات والحذف، فكان لهما دور في جذب انتباه السامعين إلى المعاني المراد إيصالها، في حين كان ظهور الأساليب الإنشائية بخروجها عن غرضها الأصلي قليلا إلا أنها أسهمت في إيصال المعاني.
- ✓ كان لأساليب بناء آفاق التوقعات وكسرها في آيات النبي موسى عليه السلام دور في إعطاء النّص قوة تعبيرية وتكثيفا للمعنى وإثباتا لقدرة الله تعالى ومساندته لأنبيائه وأوليائه وعباده الصالحين إلى يوم القيامة.

- ✓ القرآن الكريم من خلال كسره لأفق التوقع في بعض أساليبه، أبعاد دلالية وجمالية تظافرت على تحقيقها ألفاظه ومعانيه، لتكتمل بذلك عملية النظم الذي هو سر الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم.

وتجدر الإشارة أنّ هذا البحث لم يتناول كل مشاهد قصة موسى عليه السلام، وذلك بحكم تقييد البحث بعدد معين من الصفحات.

وفي الختام لا ندّعي أنّ هذه النتائج التي توصلنا إليها في هذا الموضوع نهائية، وأنّنا قد أعطينا الموضوع حقه من الدراسة والبحث، بل أملنا أن يكون بحثنا هذا تمهيدا لدراسات أخرى أكثر عمقا وتأصيلا.

والله ولي التوفيق وآخر دعوانا أن الحمد الله رب العالمين

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

القرآن الكريم برواية حفص

ثانيا: المراجع

أ- المعاجم

1. الجوهري، الصحاح، تح: محمد تامر، دار الحديث، القاهرة، 2009.
2. الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد الكريم العزباوي، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1989، ج18.
3. الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد المجيد قطامش، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ط1 ،2001، ج 39.
4. سمير سعيد حجازي، قاموس مصطلحات النقد الادبي المعاصر، دارا للآفاق العربية، مدينة نصر، ط1، 2001.
5. ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ج5.
6. ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله على الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة، ط1.
7. منير البعلبكي، المورد، قاموس عربي انجليزي، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1970.

ب-الكتب

8. حميد لحميداني، بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991.
9. روبرت سي هول، نظرية الاستقبال، تر: رعد عبد الجليل جواد، دار الحوار للنشر والتوزيع اللاذقية سوريا، ط1، 1992.
10. الزمخشري، الكشاف، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1998، ج 4.
11. سيد قطب، التصوير الفني للقران الكريم، دار الشوق، القاهرة، ط17 ،2004.
12. سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1972، مج 4.

13. صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، ط1 ،2001.

14. ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، ج 20.

15. عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط2، 1975.

16. عبد الكريم محمود يوسف، أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم، مكتبة لسان العرب، دمشق، ط1، 2000.

17. عبد الله خضر حمد، مناهج النقد الادبي السياقية والنسقية، دار القلم، بيروت لبنان.

18. عبد الناصر حسن محمد، نظرية التوصيل وقراءة النص الادبي، المكتب المصري، مصر، ط1 ،1999.

19.عبد الواحد محمود عباس، قراءة النص وجمالات التلقي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1 ،1996.

20. ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، دار ابن حزم، بيروت لبنان، ط1، 2000.

21. مجيد عبد الحميد ناجي الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط1، 1984.

22. مراد حسن فطوم، التلقي في النقد العربي في القرن الرابع الهجري، منشورات الهيئة العامة السورية، دمشق، 2013.

23. مصطفي ديب البغا، الواضح في علوم القرآن، دار الكلم ودار العلوم الإنسانية، دمشق، ط 2، 1998.

24. مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، الدار السعودية للنشر، جدة،.

25.هولب روبرت، نظرية التلقي مقدمة نقدية، تر: عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ط1، 2000.

26. يادكار لطيف الشهرزوري، جماليات التلقي في السرد القرآني، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق سوريا، ط1، 2010.

ج- المجلات والدوريات:

27. أحمد سعد محمد خطيب، من أساليب القرآن الكريم في كسر أفق التوقع، مجلة الدراسات القرآنية، جامه الامام أحمد بن سعود، مجلة الدراسات القرآنية، ع 10 1433هـ.

28. رحمة حسنة محمد، أثر نظرية التلقي في النقد العربي الحديث، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة واسط، العراق، مج2، ع41، 2021.

29. عبد العزيز طليمات، الوقع الجمالي آليات الوقع عند فولفغانغ آيزر، مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية، ع6 ،1992.

د- الرسائل الجامعية:

30. أقياس قيس عبد مصطفى العاني، النبي موسى عليه السلام في القرآن الكريم دراسة بلاغية فنية ، رسالة ماجستير، حذام جمال الدين الألوسي، اللغة العربية، جامعة بغداد،2005.

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
شكر وعرفان	
مقدمة	ب–هـ
الفصل الأول: اضاءات تمهيدية حول نظرية التلقي والقصص القرآني	
المبحث الأول: ماهية نظرية التلقي	
1– مفهوم نظرية التلقي	7
1–1 في المعاجم العربيّة	7
1–2 في القرآن الكريم	8
1–3 في المعاجم الغربيّة	8
1–4 اصطلاحا	8
2- نشأة نظرية التلقي	9
3– الخلفيات الفلسفية والفكرية لنظرية القراءة والتلقي	10
3–1 المدرسة الشكلانية:	11
3–2 ظواهرية رومان انجاردن R. Ingarden	12
3 –3 مدرسة براغ البنيوية	12
3–4 هورمنيوطيقا هانز جورج جادامر :Hans. Georg Ga damier	13
3–5 سوسيولوجيا الأدب	14
4- المفاهيم الإجرائية لدى رواد النظرية	14
4–1 المفاهيم الإجرائية التي جاء بها روبرت ياوس	14
4–2 فرضيات "فولفغانغ آيزر"	17
المبحث الثاني: ماهية القصص القرآني	
تمهيد	21
1– مفهوم القصة	21
1–1 في المعاجم اللغوية	21
1–2 في القرآن الكريم	21
2 – مفهوم القصص القرآني	22

1-2 في المعاجم اللغوية	22
2-2 اصطلاح	22
3- الخصائص الفنيّة للقصص القرآني	22
1-3 تنوع طريقة العرض	23
2-3 تنوع طريقة المفاجأة	25
3-3 في عرض القصة	27
4- فوائد قصص القرآن	29
الفصل الثاني: تمثلات كسر أفق التوقع في قصة موسى عليه السلام	
قصة موسى عليه السلام من القرآن الكريم	32
سورة القصص	32
سورة الأعراف	32
سورة المائدة	33
سورة البقرة	33
سورة الكهف	34
المبحث الأول: كسر أفق التوقع في أحداث ما قبل الرسالة	
1-المشهد الأول: ولادة موسى عليه السلام	35
2-المشهد الثاني: قتل موسى عليه السلام القبطي	39
3 - المشهد الثالث: سقي موسى عليه السلام للبنتين ومصاهرته للشيخ	41
المبحث الثاني: كسر أفق التوقع في مجابهة فرعون	
1-المشهد الاول: بعث موسى عليه السلام في الواد المقدس	45
2-المشهد الثاني: معجزة العصا واليد	49
3- المشهد الثالث: مبارزة موسى والسحرة	53
المبحث الثالث: كسر أفق التوقع في دعوة بني إسرائيل	
1ـ المشهد الأول: حادثة شق البحر	57
2-المشهد الثاني: أمر الله بني إسرائيل على لسان موسى عليه السلام بدخول الأرض المقدسة	59
3-المشهد الثالث: موسى عليه السلام والبقرة	62

المبحث الرابع: كسر أفق التوقع في الرحلة مع العبد الصالح	
ـ المشهد: موسى عليه السلام مع العبد الصالح الخضر	65
خاتمة	74
قائمة المصادر والمراجع	77
فهرس الموضوعات	80

ملخص

يحاول هذا البحث تتبع تمثلات كسر أفق التوقع في قصة موسى عليه السلام كما وردت في القرآن الكريم فجاء الموضوع ب: عنوان: "**كسر أفق التوقع في قصة موسى عليه السلام من القرآن الكريم مقاربة جمالية في ضوء جماليات التلقي** ". ولقد تم تسليط الضوء في هذه الدراسة على ابراز الملامح الأساسية لنظرية التلقي في أصولها الغربية مستحضرين الأسس الفلسفية المؤثرة فيها وكذا المفاهيم الإجرائية التي جاء بها كل من هانز روبرت ياوس وفولفغانغ آيزر رائدا هذه النظرية، من بين تلك المفاهيم مفهوم كسر أفق التوقع وهي الخيبة التي يحدثها النص في القارئ وعليه تبرز جمالية النصوص، وكذا ماهية القصص القرآني وخصائصه، معتمدين تقنية الوصف والتحليل، والمنهج التأويلي في الفصل الثاني لما تحمله القصة من انعطافات لفظية وسردية كسرت أفق توقع القارئ، تاركة فيه شغف البحث عن أبعادها الدلالية وفي نفسه الأثر الجمالي.

الكلمات المفتاحية: نظرية التلقي، هانز روبرت ياوس، كسر أفق التوقع، القصص القرآني، موسى عليه السلام.

Summary:

This research attempts to trace the representations of breaking the expectation of horizon in the story of Moses, peacebe upon him, as mentioned in the Holy Qur'an. The topic came under the title of breaking the expectation of horizon in the story of Moses, peace be upon him, from the Holy Qur'an. An aesthetic approach in light of the aesthetics of reception. The light was highlighted in this study on highlighting the basic features of reception theory in its Arabic origins, recalling the philosophical foundations that influence it, as well as the procedural concepts that were brought by Hanser Robert Jauss and Wolfgang Iser, pioneers of this theory. Among those concepts is the concept of breaking the expectation of horizon , which is the disappointment that the text causes in the reader, and thus the aesthetics of the texts are highlighted, as well as the nature of Qur'anic stories and their characteristics, adopting the technique of description and analysis, and the interpretive approach in the second chapter because of the verbal and narrative turns the story carries that break the reader's expectation of horizon , leaving in him the passion of searching for its semantic dimensions.

It has an aesthetic effect in itself.